12

روايات الهلال

عبده جبير

مواعيد الذهاب إلى آخر الزمان

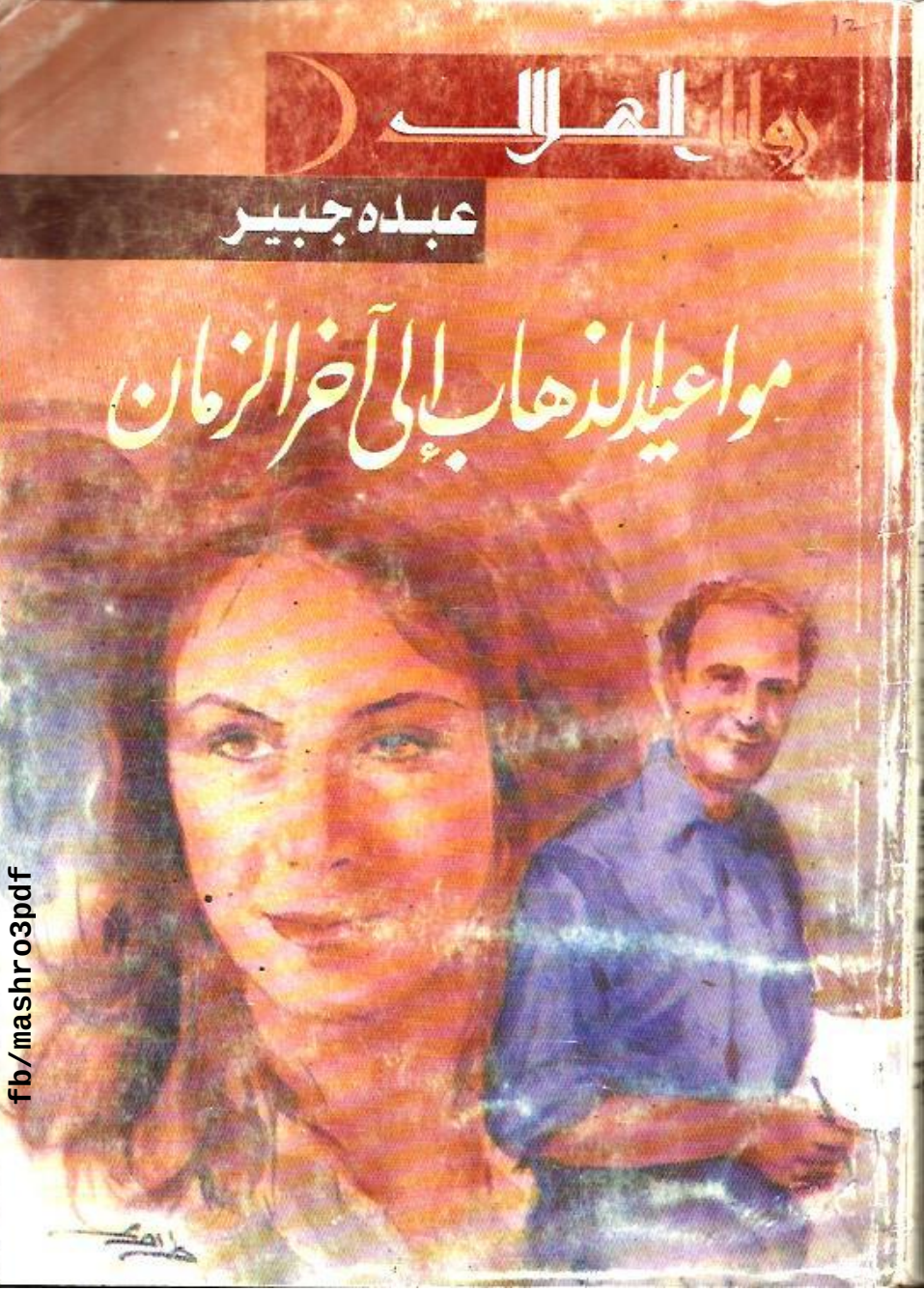

fb/mashro3pdf

مواعيد الذهاب إلى آخر الزمان

تأليف
عبده جبير

دار الهلال

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الغلاف للفنان :
محمد طراوى

(باب)

فى

ثياب الساعات

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

« لقد تطلعت من قبل فى صفحات الكتاب المفتوح
الكتاب الافتراضى ،
فلم أر سوى صورة ذلك الحشد المتلاطم ،
الخارج من البوابات الكبيرة،
لايعرف إلى أين .
لا . ليس إلى سفينة نوح ،
ولا إلى جنة عدن ،
ولا إلى بلاد السندباد،
ولا إلى ..
لكن إلى المحيط الذى أدى بهم إلى الصحراء» .

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

من هو الذى قال يا ترى : كم الساعة الآن ؟ من كان صاحب الصوت ؟ لقد التفت ناحيته (وكان قد أدار لى ظهره) ولم أقل شيئا ، فلم أكن أعرف – على أية حال – أين يمكن أن نكون (أقصد فى أى ساعة نحن) ، لكننا كنا فى وقت ما من الصباح ، ربما بعد العاشرة بقليل .

كانت أمامى ثلاثة فناجين من القهوة فارغة ، وقد اعتدت أن أشرب واحدا كل ساعة (بالأحرى كان سلمان رشدى ، عامل البوفيه الباكستانى ، يأتينى بها حتى لو لم أطلب) وأنا آتى إلى هنا فى السابعة تقريبا .

سلطان أبو حمزة هو الذى يحدد لى أول مواعيد الصباح ، عند عودته من مطعم «تحرير الكويت» الذى يمتلكه لبنانى علىّ أية حال ، ومعه الطعمية الساخنة (التى لايرضى عنها بديلا لإفطاره) يمر على ، يخبط على ، على ، على نافذتى (ثلاث مرات – كما هى ضربات المسرح) ويقول كلمة واحدة : «إصحى» .

غالبا ما أكون مستيقظا ، وإذا لم أكن قد حلقت ذقنى فى الليل ، فإننى أفعل ذلك فى الصباح ، مع بقية الطقوس : شريحة بقسماط محمصة أغمسها فى كوب من الحلبة باللبن ، وأتجرع بقيتها ، وأخرج لأجده فى عربته النيسان المهترئة وهو لايزال يلوك بقية وجبته الساخنة ، وعلى شفته «نتفة» من الطعمية ، ونمر على ثلاثة آخرين ، يتغيرون بين الوقت والآخر ، نحملهم معنا ونحن فى طريقنا لمكاتبنا ، نسقطهم ، واحدا بعد الآخر ، عند مكاتبهم ، فى الشويخ ، حيث معسكر العمل الكبير .

لكن ، هل كان ذلك صوتا بعينه ؟ أراد ، ربما ، انتزاعى من الأضابير التى كنت غارقا بينها ؟ أم كان واحدا من تلك الأصوات التى أخذت تهتف بى فى خفوت ، من بعيد (فى تلك اللحظة التى أكون قد رفعت فيها نظارتى عن عينى) فى الأيام الأخيرة ؟

fb/mashro3pdf

الأيام الأخيرة ؟

أظن أنه يجب العثور على طريقة للتخلص من هذا الطنين .

ربما لو أخذت الوقت فى يدى (ولو من باب التقريب) - حوالى العاشرة ، الواحدة تقريبا ، لا ، لم لا أتبع الطريقة التى تعودنا عليها فى الشرق : بعد الظهر، فى الضحى ، فى الصباح ، أو من هذا القبيل ، هكذا بكل وضوح ، فسيكون هذا ربما ، أسهل ، وربما كان مفيدا لحالتى الصعبة ؟

لكننى على أية حال ، تربيت على (بالأحرى تعودت) أن أحدّد مواعيدى بتقلبات الليل والنهار ، هذا أفضل .

ربما يكون هذا مناسبا أكثر لى ، أو لحالتى .

(الآن أدرك أنه لافرق بين هذه الطريقة ، وتلك الطريقة «الشرقية») لكن يبدو أن صوتا مر من هنا .

ربما .

(ف)

كان الوقت - إذن - ضحى .

أعتقد أننى فى هذه اللحظة ، فى هذه اللحظة بالذات ، قد توصلت إلى حل : أن أكتب رسائل إلى معارفى ، أصدقائى ، حبيبتى (عشيقتى بالأحرى) و - خطيبتى السابقة ، التى لم تستطع الانتظار طويلا ، فتزوجت ، وإن بقيت العلاقة قائمة بيننا .

كتابة رسائل كل يوم ستفيدنى على الأرجح ، ربما خلصتنى من هذا الذى - ماذا يمكننى أن أسميه ؟

لقد فكرت فى العودة إلى مصر ، ولكن هذا لم يبد حلا (كيف لى وأنا هناك أيضا فكرت طويلا فى العودة أصلا إلى عصر اخناتون نفسه ؟ حيث كانوا ينقلون

fb/mashro3pdf

الحجارة ، عبر الفضاء ، بالتحكم فى الجاذبية الأرضية؟) ، فقد جئت إلى هنا ، إلى الكويت (لا أقول ربما للبحث عن روحى فى الصحراء ، فلدينا هناك صحراء لا نهاية لها) لكن هربا من تلك الحال .

ربما .

لا أعرف .

(ف)

هاأنذا بعد لحظات اكتشف أنه ليس بمقدورى أن أذكر الأشخاص بأسمائهم (الحقيقية أعنى) ، سأكون ، إذن ، مضطرا للجوء إلى وضع أقنعة على وجوههم (ألسنا فى مسرح؟) كل واحد ، كل شخص ، كل واحدة ، ما يناسبه ، ما يناسبها ، وكلا وحجمه ، سواء هنا أو هناك ؛ وهذه اللعبة تستهوينى على أية حال.

ربما يكون اسم عامل البوفيه – سلمان رشدى – هو الذى أوحى إلىّ بهذه الفكرة ، فهو على الرغم من كونه باكستانى هاجر أهله من الهند ، إلا أنه لا علاقة له بذلك الكاتب سيىء السمعة المطلوب للقتل .

ربما .

تلبيس الناس أسماء أخرى (من أسماء المشاهير حتى تكتمل لعبة الإخفاء – لعبة الأقنعة) ستكون لعبة مسلية ، وأنا لا أجد أمامى حلا آخر سوى أن أتسلىّ ، ربما حتى يعود إلىّ عصر اخناتون ، حيث كان الناس يستحمون مرتين فى اليوم.

أنا أتسلى بالفعل ، بقدر ما فى هذا من طمأنه للنفس ، بقدر ماهى وجهة نظر فى الحياة ، بدأت على هيئة وهم ، ثم اعتدتها حتى أصبحت طريقة نظر .

كتابة رسائل ستكون ..

fb/mashro3pdf

الأفضل أن أبدأ الآن .

سأكتب فى الكشكول الذى أهدتنيه ضحى (ولنسمها سعاد حسنى) - (خطيبتى السابقة) ثم أفرغ الرسائل فى الأوراق عند الإرسال .

بمن أبدأ يا ترى ؟

إن علىّ أولا أن أن أضع كل شىء فى سياقه ، علىّ أن أترك نفسى على سجيتها ، تقييد الأمور (أو الذات) سيلحق بى أفدح الأضرار .

ما المشكلة إذن ؟

المشكلة ؟

لا أعرف ، ربما : لأن الوقت بدأ يضيع منى ، إنه ، آه - لم تعد هناك إمكانية لاحتمال المزيد ، إن كنت سأظل هكذا ، فأظن أن الأمور سائرة إلى - لا أعرف . هاهى الكلمة قد نفرت منـ .. وفرض النسيان نفسه ، تجسد ، انتصب ، دون قصد .

لم يعد سوى ساعتين (أو نحوهما) على انصرافى من العمل ، بالأحرى ، ما الذى يجعل شخصا مثلى ، لم يحمل فى معصمه ساعة منذ ١٩٧٣ متأكدا من ذلك؟

أظننى سأشغل نفسى حتى الانصراف بمتابعة الإعلانات فى الصحف ، (بعضها يجعلنى أبتسم) .

« .. للنساء فقط . سيدتى . سيدتى . سيدتى . (ثلاث مرات) خلطة سرية لتضييق (حولها شكل بيضاوى) النساء . لا يصاحبها (كذا) أعراض جانبية . أم خالد ، بيجر ٩١٥٦٤٦٠ رمز ٠٠٠ (ثلاثة أصفار) .

وهذه على أية حال تسلية تعلمتها من محمود الجزار (الرمز : محمود المليجى)، هل قلت أبتسم ؟ ، آه ، إنه لا أحد يضحك هنا بصوت مرتفع ، لا ضحك

fb/mashro3pdf

مجلجل ، كل شيء ساكن فى هذا الوقت من اليوم ، النار مشتعلة فى الخارج ، (أقصد أن الجو ملتهب - جدا -) ، وأنت لا تسمع سوى محركات التكييف شششششششش (ولا تشم سوى رائحة احتكاك عجلات السيارات بالاسفلت) كأنك موجود فى جوف ماكينة لاتكف عن الدوران (الحداثة على أشدها !) ، الجدران الصلدة سابقة التجهيز ، الجدران المسلحة ، النوافذ الألونيتال ، يا لها من فكرة فى هذا الجو الصعب ، الستائر التى لابد منها (وإلا أكلك الضوء الساخن - الساخن ؟ لا ، الملتهب ؟ لا ، المشتعل أفضل ..) - (لابد لك من أن تحتمى منه : تدخل إلى الظل ، فى الظلام) ألا يكفى كل ذلك ؟ داخلك ، أبدا ، كل ذلك ! .

ولاء (الرمز : مديحة حمدى) كدت أنسى .

لابد أن أكتب لها ، لابد ، هل لازالت تنتظر رسائلى ؟ لقد قالت ذلك ، حدثنى عادل السيوى (صاحبى الذى يكتب روايات صعبة الفهم ، وتعرفت عليه من مقهى الحرية فى باب اللوق منذ سنوات ، وأصبحنا صديقين ، ولم أفكر بعد فى قناعه ، قناعه هو بالذات ، فبيننا خزانة أسرار ، لو عرفها الناس لانخربت بيوت وتقاتلت تنظيمات) - قال :

- اتصلت بى وقالت ، عبرت عن رغبتها فى الاتصال ، أعنى ، أف - (كم أنا مرتبك ؟) قالت إننى لابد أن أكتب لها (على عنوان صديقتها الآنسة ليلى (شريهان) بقالة على مبارك ، لا ، أظن أن من المفروض أن أكتب باسم الوالد ، ومنه إلى الآنسة ولاء أيوب - خاص - وهاأنذا أجد نفسى (وشكرا لساعى البريد) فى موقف غرامى ، سخيف ، أشبه بالمواقف المملة فى فيلم مقاولات (وعلىّ أن أشرح الآن ماهى هذه المقاولات ، وكان الأوفر أن أقول فيلم تجارى رخيص وأخلص) - وبقية العنوان ؟ أظنه : عطفة العروس ، حارة الجمل ، على ما

fb/mashro3pdf

أظـن ، أين دفتر عناوينى ؟ (إذ تصبح له الأهمية القصوى الآن) فى البيت على الأرجح ، لكن المؤكد أن المنطقة هى السيدة زينب ، القاهرة ، واسم البلد طبعا .

أى بلد ؟

قال عادل أن أكتب لها ، لأن الاتصال بها (تليفونيا طبعا) غير ممكن ، فارق السن الكبير بيننا يحول دون ذلك ، إننى أخجل من الأمر ، كيف بى - أقصد كيف كان سيكون ، كنت سأذهب إلى والدها لأتحدث فى الموضوع ، والدها الذى يعانى من نفس المأساة التى كنت سأكونها (الفارق بينه وبين أم ولاء يزيد عن ثلاثين عاما) ، وأنا ، على الرغم من أن الفارق بيننا لايبدو على هذا النحو - أظنه لايزيد عن خمسة وعشرين عاما ، وهو ما يقره القانون الآن - كنت سأجد نفسى - لو حدث - فى نفس الموقف .

ربما ، فهو ، على أية حال ، وعلى الرغم من أنه هو الذى يقيم أود (أقصد يصرف على الـ ٥ بنات ، كلهن ، كلهن ، إلا أن موقفه كان صعبا ، من يعرف بم كان يحس وامرأته بجواره تتحرق شوقا ؟ من يعرف ؟ ، ربما لأنه لم يعد يستطيع الانتصاب منذ زمن (حكت لى ولاء ، فهى وأمها تتحاجيان بكل شىء) ، وربما كان ذلك هو ما جعل ولاء على هذه الدرجة من الجراءة ، آه ، فهى التى بدأت معى كل شىء : خلعت ملابسها ، وأمسكت قميصى وشدته ، جردتنى من كل شىء (حتى الخجل) قطعة قطعة (وهو ما سأتحدث به بعد قليل) قالت : « أترك لى نفسك و، وأنا سأفعل كل شىء » ، إلا أن العم أيوب لا يتمتع بأى كلمة فى هذا البيت ، وسط الـ ٥ بنات وأمهن ، قالت لى ولاء : « المسكين يعيش فى مستعمرة حريم ، وللا لما يكون عندنا كلنا « العادة » ! تبقى ريحة الشقة كلها حيض ، حيض » .

fb/mashro3pdf

(أذكر أننى لما لعبت معها من الخارج - ملامسة يعنى - وكان عندها الإكس، ظللت أشم رائحة الحيض فى كل امرأة أراها ، حتى خلت أن علامة بيت الزوجية: رائحة الحيض فى كل ركن) .

(ف)

سأكتب فعلا ، سأشرح بالتفصيل كل ماهو عليه حالى ، لابد يا ولاء أن أوضح لك الموقف على الآخر ، من اللحظة التى التقيت فيها محمود الجزار - هذا هو اسمه على الرغم من أنه يحب السمك - بدا كل شىء مختلفا ، إنه يستيقظ مبكرا فى الصباح ، يحتسى الشاى المغلى مع السكر - يذكره هذا بقريته فى المنصورة - ثم يشرع فى التخطيط تحت الإعلانات المهمة - من وجهة نظره - فى جرائد الصباح ، واحدا بعد الآخر ، ثم «يندار» على الجرائد المخصصة للإعلانات التى يأتى بها من البقال الايرانى (ميرزا) مجانا ، إعلانا وراء الآخر ، يدرس ويخطط (وأظن أننى بدأت شخصيا أقتنع بأهمية فعل هذا ، فبين سطورها ، قال ، « هناك فرص سانحة تنتظر من يقطفها» ، إنه فعلا يتابع ما بين السطور ، إنه ، على الأقل ، يعتقد ذلك (ثم إنه لايؤذى أحدا) ، وأنه سيكتشف السر الكبير الذى يقف بين - أقصد الذى يربط بين كل هذه الأحاجى السحرية (ربما كانت هذه فعلا تمائم العصر) التى يعاملها ، فعلا ، على هذا النحو ، وكأن هناك شيئا غامضا عزيزا مخبأ فى قمقم - بشكل ما .

يقول : لابد أن هناك سرا .

أقول : كيف ؟

يقول : يا رفعت الجمال (هذا هو قناعى ، أما اسمى الحقيقى فهو رفعت محمد ، وهو اسم عادى كما ترى) يارفعت ، اسمعنى ، إن الهنود والبلوش لم يستوطنوا هذه البلاد ، حتى قبل النفط ، عبثا ، هل تعرف كم أسرة من الأسر

fb/mashro3pdf

الغنيـة ، الميليـارديرات يعنـى ، من أصل هندى ، وبلوشى ، كـذا الفـرس الذين تفاجأ بحجم وجودهم ؟ لابد أن هؤلاء جميعا لديهم ما يمكنهم الاستناد إليه من حجج .

أقول : أه .

يقول : ألا تراهم يمشون للأمام ؟ طبعا كل الناس يمشون للأمام ، لكن هؤلاء يمشون للأمام بطريقة معينة ، طريقة خاصة ، أشبه بالدحرجة ، إنهم لاينظرون إلى شىء ، إنهم يتطلعون للداخل .

قال لى أمس الأول : هذا هو حلمى ، أن أكشف سر هذه المشية .

لا أريد أن أشغلك يا ولاء به طويلا ، فهو صاحب فلسفة عالية لايمكنك فهمها ، وإن كان هو يستحق فعلا كمية الضحك التى يضحكها ، وأنا أحبه على الرغم من أنه لم يستمع أبدا لكلمة واحدة من كلماتى .

السخرية ؟

آه ، أظن أننى توصلت إلى حل ، أعـرف أن الناس فى شـوارع القـاهرة قـد توصلوا لهذا الحل منذ آلاف السنين ، لكننى حين اكتشفه فى نفسى يصبح الأمر مختلفا ، وهو مدعاة للضحك على أية حال ، وهو جزء من وصيتك ، يا ضحى ، على أية حال .

(ف)

جاء المساء .

كان الجو غائما بالفعل ، أخذتنى قدماى إلى الشارع الذى لم يعد يستند إلى سـور ، الشـارع مـهـدم السـور ، أظن أن خلفـه أحـد الأندية الرياضـيـة ، نادى القادسية بالأحرى ، سمعت أنه موجود هنا فى «حولّى» ، لكننى لم أسمع أبدا صوت الجمهور من خلف السور ، حتى قبل هدمه ، لابد أنه الحر .

fb/mashro3pdf

الحر . سر الوجود هنا .

ومشيت حتى عرفت ، وأنا غارق فى –

كانت نسمة خفيفة قد بدأت تخفف من وطأة الرطوبة ، على كل إننى أعتذر لأن الجرعة أشد مما يمكنك تحمله (يا من : ولاء أم ضحى؟) صدقينى ، إننى أحاول جاهدا أن أكون مرحا ، عملا بوصيتك (أضحك) أحاول بشدة .

أراك يا ولاء تضحكين وتضحكين ، والسرير النحاسى يهتز تحت خلفيتك المتماسكة الممتلئة – وأنا أتسلل بيدى إلى – حتى تتزلق كفى من شدة النعومة ، والدفء .

لكن لا يهم .

أعرف أنه ليس علىّ أن أسترسل فى النظر طويلا .

(ف)

(لقد تطلعت من قبل فى صفحات الكتاب المفتوح ، الكتاب الافتراضى ، فلم أر سوى صورة ذلك الحشد المتلاطم الخارج من البوابات الكبيرة ، لايعرف إلى أين ، – لا ، ليس إلى سفينة نوح ، لا ، ولا إلى جنة عدن ، ولا إلى بلاد السندباد، ولا إلى – ، لكن إلى المحيط الذى أدى بهم إلى الصحراء) .

الصحراء مرة أخرى ؟

لقد حاولت ، هذه المرة جادا بالفعل ، وأنا أمسك بيدى ، فعلا هذه المرة أيضا، كتاب الباشا عاشق الصحراء، (يوسف كمال) أن أمحو ما فى قلبى منها من – سمه كرها أو خوفا أو كونها رمزا للجفاف ، حاولت أن أن أرى ما رآه فيها الباشا من مرتع للروح، مستندا إلى ما رآه فيها الأقدمون من مسافة للزمن الأبدى، لكننى لم أستطع حتى الآن أن أمسك بطرف الخيط، وكل محاولاتى، بعدها، كانت مخلصة لإعادة النظر، وتمرين النفس، لكن الفشل كان من نصيبى .

fb/mashro3pdf

أعتقد أننى حين وصلت إلى هذه المرحلة من العمر ، كان علىّ أن أقف قليلا لأصلح من عدتى ، كان صدرى قد بدأ يصدر أصواتا خائفة ، وكانت معدتى قد بدأت تتألم لأقل حركة ، وكان قلبى يرتجف ، فهل سيكون بالإمكان العثور على ميكانيكى رحيم ليقوّم هذه الآلة ؟

(ف)

عدت يا ولاء إلى الناحية الأخرى من الطريق ، صدقينى ، إننى لم أنس أبدا طعم شفتيك (اللدنتين كالكريز) ، تذكرين أننى قلت لك ذلك (ونحن عاريان على السرير النحاسى) قلت لك أن قبلتك ذكرتنى ، بعد طول جفاف ، بطعم أول فم أبوسه ، غضبت ساعتها ، وعدت تسألينني عن وفاء ، (يا الهى ، الحب الأول لايمكن استبداله ، وسيظل طعمه عالقا بالنفس لا يمكن حذفه ، لايمكن استبداله ، لا بولاء ، التى أحبتنى دون مقابل ، ولابضحى (مشروع الزواج الفاشل) ولا بنهى (التى وقفت كبديل محتمل) ولا حتى بالخوجاية الإيطالية باترتسيا التى قضيت معها شهرين فى الفراش (وهى لاتكف عن استعمال فمها) عقب ليلة رأس السنة .

أظن أن علىّ أن أجد طريقة للكتابة لك ، أقصد أن أنهى رسالتى لك ، وأنْ تصلك (من خلف بابا) وأن تقرئيها حتى النهاية ، ولايهمنى عندئذ لو فرجتها لصاحباتك فى طول السيدة زينب وعرضها .

(ف)

هاأنذا أمشى عائدا أدراجى (أدراجى ؟!) على التلتوار المترب ، أحس بجوربى وقد تعفن ، الحر ، الحر .

تصور ؟

على المقهى ، هناك مجموعة شبان (لايبدو عند النظرة الأولى أنهم من الجالية، هل يبدو ؟) يرتدون الدشاديش الكويتية البيضاء ، والشماغ الأحمر بالأبيض

fb/mashro3pdf

المربعات ، (لزوم طبيعة العمل الذى يمارسونه فى المصالح الحكومية كمندوبين ، حيث يتم التعامل مع الناس بناء على ملابسهم) يضحكون بصوت مرتفع ، مجلجل ، يجلسون على المقاعد الخشبية خارج المقهى ، إنهم وحدهم الذين لايتطلعون إلى شاشة التليفزيون العريضة ، دونا عن بقية الرواد .

المدهش يا ولاء أننى سمعتهم ، وهم يجلسون خلفى ، يثرثرون عن فتياتهم اللواتى تركوهن فى البلاد ، القاهرة ، والمنصورة وإلخ – وصدمت يا ليلى ، أقصد يا ولاء حين تأكدت أنهم أيضا مثلى : مغتربون من مصر ، لكنهم يبدون أكثر سعادة، ربما بفعل الزمن ، أقصد ربما لأنهم صغار السن ، والحلم لايزال يراودهم ، الحلم أو الوهم ، لايهم ، المهم أنهم يعيشون فى ظل هذا الشىء، هذا الشىء الذى فقدته ، إنهم أكثر سعادة إذن ، أقصد ، ربما أقل اكتئابا مما عليه حالى، أو على أحسن تقدير – أف ، ربما جاءوا بإرادتهم ، أقصد ...

الشاى ثقيل ومر .

معدتى تتقلب .

الجرسون هو أيضا مصرى خفيف .

أريد أن أتقيأ ، الأفضل أن أتقيأ فى البيت .

تلّفت حولى وقمت .

ومشيت ومشيت .

كان الليل قد جاء .

(ف)

فتحت الباب بصعوبة وأشعلت ضوء الصالة ، رائحة الرطوبة ، إنه موعد الصراصير، أقصد موعد تكاثرها ، فالصراصير لاتنقطع فى مثل هذه الشقق العزابى التى لاتدخلها الشمس ، خاصة تلك التى تقع فى الأدوار الأولى مثل شقتى ، تلك التى يسمونها محلق .

fb/mashro3pdf

دخلت غرفة نومى فوجدت أن الليل قد جاء فعلا ، تمددت على السرير فخفّت التقلصات ولم يكن لدىّ رغبة فى النوم .

سأكتب لك يا ضحى بحكاية (زيد بن عبيد) هذا طبعا ليس اسمه الحقيقى ، هذا الذى اختفى بعد أن مر علينا جميعا ، واحدا واحدا ، كان ينفرد بكل منا، ليقرأ عليه آلام فرتر ، أقصد هذه الرواية ، بصوت مشروخ ومكسور ، انقطع منه فجأة حتى لم يعد يستطيع القراءة ، فاختفى ، لكنه ترك لى تحت عقب الباب ورقة كتب فيها :

«أنا الآن صامت لا أتحدث مع أحد ، فى تلك الأمور ، فتحت فمى مرة واحدة، قلت رأيا عابرا ، فوجدت نفسى فى جب ، ولن أتحدث عن هذا السر الخبىء ، هذه الحادثة لن أتحدث عنها» .

لم لا أكتب أيضا لولاء ؟

أوحشتنى ثرثرتها التى لاتنقطع ولا تكف مثل ماكينة طاحونة الدقيق ، سأكتب لك يا ضحى فعلا ، هل لازلت تذكرين رحلة القطار ؟ الرحلة المجنونة ؟

– أنتم يا من ستركبون .

– خذونى معكم .

– هل سيقف القطار على هذه المحطة أيضا ؟

– أى قطار هذا ؟

– هل هو الطالع لتوه ؟ هل ستركب أم تقف ؟

– قطار التاسعة لايقف سوى فى النهاية .

– هل سنصل هناك فى آخر الليل ؟

– فى الفجر أم بعد ذلك ؟

– سنصل الاسكندرية حالا .

fb/mashro3pdf

– أنظر ، لقد حجزت تذاكر العودة ، ما هذا الزحام .

– أخشى أن يقف ، وعلى أى حال ستكون مصيبة لو تعطل (هأ . هأ . هأ)

– تضحك . لا تنس أننى ذاهبة معك دون علم بابا . أنت ذاهبة إلى خالتك على أية حال . خالتى ستراني بعد يومين (أنهم لايحسنون حساب الأيام على أى حال) أليس كذلك أم تريد أن تتراجع عن المغامرة ؟

وجوه وجوه وجوه : رجرجات القطار وصوته الرتيب (لا . المنتظم أفضل) هل سنكون لوحدنا فعلا ؟ الليل بطوله . حتى آخره ، حتى يطلع النهار ؟ سأنام فى حضنك .

لا . لن تتهور . أليس كذلك يا رفعت يا حبيبى ؟ . أترك لى شيئا أتزوج به. لن تفعل ؟ آه ؟ لم تنظر هناك ؟ . آه . أووم ، أووم ، إلى تلك البنت ؟ جاميله . حيلوه فعلا . سكسى خالص ، تذكرت ، تحب الشقراوات؟ أنت تحب الشقراوات ، وتقول أنك تحب السمراوات ، لأننى سمراء (هأ . هأ . هأ) يعنى أنت تحبى ، أقصد تحبنى ؟ أصبغ لك شعرى أصفر ؟ كركم ؟ الآن أسهل شيء أن تصبغ البنت شعرها بأى لون ، بالأسود حتى .. هل تحب الأحمر ؟ مثل تلك الممثلة فى الفيلم ؟ أم الأزراق ؟ الهيبز من جيلك (يا عاجوز .. ها . هأ .) ويمكن أيضا الآن تفتيح البشرة ، يمكننى أن أتحول إلى بيضاء كالحليب ، لكن هذا سيفقدنى نفسى ، أنا أحب شخصيتى هكذا ، قمحية ، قليلة ، ضعيفة ، قصيرة ، أنا فعلا ؟ مناسبة ؟ أليس كذلك ؟ لم لا تتكلم ياحبيبى ؟ لقد قلت لى إنك ستتكلم ، بمجرد أن نركب القطار ستنطلق فى الكلام ، أنت قلت لى ذلك ، أنت وعدتنى ، لا أحد ينظر هنا ، لنا ، ساعة السفر فى القطار أحس أن الناس مهمومين ، اللآنين ، ألا ترى لونهم؟ أصفر ، وهل لونى أنا مخطوف ؟ شاحب يعنى ؟ فى الصباح ، وأنا أجهز الشنطة لأهرب معك ، أقصد لأسافر (هأ . هأ) كنت خائفة جدا ، يداى

fb/mashro3pdf

ترتعشان، وقدماى مشلولتين ، عجزت عن تحريكهما (كأنهما نائمتين) كدت أتراجع عن العملية ، خفت أن تزعل منى ، ستكون مغامرة حلوة على أى حال معك ، وأنت ستستر علىّ فى كل الظروف ، أنا واثقة من ذلك، لكن ..

(ف)

نسيت أى الأيام هو .

ذهبت للعمل فاكتشفت أن اليوم هو الجمعة .

لم أعد أذكر الأيام ؟

أليس هذا مناسبا لحالتى ؟ حسنا ، يبدو الأمر مريحا على أية حال ، إن كان الوقت مهما بالنسبة للآخرين ، فيكفينى أنا أن أعرف ، أننى الآن فى الليل أو النهار ، فى الظهيرة أم الضحى ، هذا يكفينى (إننى أؤكد عليه) ويناسب حالتى.

ما الذى يمكن أن أجنيه من معرفة أننى الآن فى الساعة السادسة إلا ربعا ، أعنى ما الذى يعنيه أن تكون الساعة الآن السادسة إلا ربعا ؟

هل لازلت ياضحى كما كنت ؟ تراهنين على إمكانية عدولى عن عدم الزواج حتى اللحظة الأخيرة ؛ حتى آخر نفس ؟ نفس ؟ هل لازلت على استعداد لترك خطبتك التى أجبرت عليها ؟ كآلاف الفتيات ؟ (لابد للبنت من أن تتزوج هكذا قلت، ضاحكة ، هأ . هأ) .

لكن !

بمجرد أن تهدأ حركة معدتى ، التى حركها الشاى المغلى ، سأكتب لك عن أشياء تحبينها ، عن أشخاص غريبى الأطوار (لا أعرف من أى رواية معتوهة التقطت تعبير «غريب الأطوار» هذا) على أى حال :

fb/mashro3pdf

تدربت فى شغلى على عمل ملفات الموظفين ، وهذا يجعل الأمور أكثر سهولة .

أول الأشخاص قد يكون على الأشول (لا علاقة لاسمه بكونه أشول أم لا – وإن كنت لم أتأكد من ذلك – لأننى لم أره قط يكتب ، لم أنتبه لحركة يديه ، لكننى فى المرة القادمة سأفعل ، سأراقبه فى المرة القادمة ، سأتأكد) ..

على الأشول ياضحى (سعاد) يعيش فى حلم يقظة (سيجد الحقيبة السمسونايت المكتظة برزم الدولارات – لا أعرف لم الدولارات وليس الدنانير على الرغم من أن الدينار أقوى من الدولار ، ربما لارتباطنا بالأفلام الأمريكية) إنه لايستطيع من حلمه فكاكا ، قال :

حاولت لكننى لم أستطع .

(بالمناسبة هو شخص من العيار – أقصد الوزن – الثقيل المشعر ، يغطيه الشعر حتى يرتفع إلى منتصف رقبته ، وكلما أحس بالغيظ من العالم ، مال على الثلاجة وأبتلع مافيها ، حتى الخضراوات غير الطازجة التى يشتريها بأرخص الأسعار من سوق الجملة الذى يسمونه «الشبرة» ، حتى الكوسة والبطاطس ، وربما القلقاس أيضا ، إنه لايمضغ ، لم أره يفعل : إنه يبلع) .

هل تودين معرفة أوصافه ؟ أظن أنه فى نحو الأربعين (على حافة سن الخطر) أصلع قليلا ، الأفضل أن أقول خفيف الشعر فى رأسه (على الرغم من غزارة الشعر فى بقية جسده) إنه أحمر الوجه أيضا ، وحاجباه غليظان (كثان !) فيهما شعيرات بيضاء ، وأظن أن عيناه تميلان للخضرة (لم أحدق فيهما بتمعن ، لكننى سأفعل) لكنه يعيش حلم يقظته ذاك على أكمل وجه ، إنه يعرف نفسه ، حالته ، جيدا ، يعيها ، قال إنه يكاد يكون مرضا سيؤدى به للتهلكة ، وبالفعل ذهب للمعالج النفسى ، ولم يجد الرجل فى حالته مايدعو للقلق ، وكان هو طبيبا مصريا

fb/mashro3pdf

أيضا ، قال له إن أغلب الناس (وربما كان يقصد أهل الجالية – أو ربما المصريين المسافرين –) يفعلون ذلك ، هذه الأيام (الحقيبة السمسونايت التى لاتفارق خيالهم) وأن عليه فقط أن يشغل نفسه بشىء ما (لكن المعالج النفسى لم ينصحه بالعادة السرية) .

يقول على إنه لم يجد هذا الشىء الذى يشغله عن حلم يقظته ذاك ، سوى هذه .

قال :

إنه يأتينى زاحفا ، أو طائرا ، أو متسللا ، (وفى كل وقت) سواء كنت فى العمل أو فى الشارع ، فى الحمام ، أو الفراش .

هو أيضا كأغلب الرجال (الذين لايحبون المشاكل) هنا ، يمارس العادة السرية ، من اعتاد منهم على امرأته يضع صورتها – بقميص النوم الأحمر الساتان – أمامه ، فى الضوء الخفيف ، فى الضوء الوردى ، ويفعل (بالصابونة أو على الناشف) ، أو إذا كان هاربا منها (مثل محمود الجزار وغيره وغيره ، الآلاف منهم – الأغلبية كذلك– تصورى جيشا من الرجال الهاربين من زوجاتهم) فإنه يتخيل مارى :

البنت الفلبينية (التى قالت أن اسمها مارى ولا أحد يعرف الحقيقة ، فمن عادات فتيات الليل المعروفة التخفى خلف أسماء وهمية ، حتى تحدث الجريمة ، وتنكشف الحقيقة) يتخيلها لأنها هربت منه منذ فترة (قال ضاحكا لأنها توجعت منه ، لم تحتمل الهنك والرنك الشديد ..) البنت القصيرة الضيقة ، المدورة – يقول إن أعضاءها لاتحتوى على عظام – مجرد غضاريف قابلة للطى :

fb/mashro3pdf

أقسم بالمصحف الشريف - الذى يحتفظ به ليقسم عليه - أن مارى طوت رجليها وساقيها وفخذيها - هكذا دفعة واحدة حتى ما خلف رأسها ، ولم يعد فى ملكته سوى وجهها بشفتيها المكتترتين ، وخلفيتها .

قال :

إن المنظر لم يعد مقززا بالنسبة له - بعد / بعد أن تعملت كيفية إزالة (نتف بالأحرى) شعر العانة .

قال إنه هو الذى علمها كيفية عمل الحلاوة ، حلاوة النتف ، الحلاوة البلدى على الطريقة المصرية .

وجاء بورقة مكرمشة إنتزعها - على مايبدو - من إحدى المجلات النسائية وقرأ :

المقادير :

١ كوب سكر .

٢ كوب ماء .

٣ ليمونة صغيرة بنزهير .

الطريقة :

- ضعى الماء فى كزرونة وضعيها على النار حتى تغلى ، أضيفى السكر على الماء المغلى . حركى الخليط بهدوء وخففى قوة النار حتى يغلظ المحلول ، ثم أضيفى عصير الليمون .

- إتركى المعجون يبرد ثم استعمليه قطعة قطعة حتى تمتلىء القطعة بالشعر المنزوع مع تبليل يدك بالماء حتى لا يتلصق المعجون بأصابعك .

قال : وجاءت البنت مارى فرحة وناعمة كالحرير ، رفعت جونلتها واستعرضت النتيجة.

fb/mashro3pdf

قالت : لقد أعجب زبائنها، الكويتيون منهم خاصة .

كذاب ؟

لا أعرف ياضحى ما إذا كان كاذبا أم لا . كل ما أعرفه أن دمه خفيف . يضحك كثيرا . يضحك طوال الوقت . خاصة قبل أن يدخل فى موجة من الكآبة (حين يحس بالحنين إلى البيت) عندئذ يصبح صعب المراس .

نسيت أن أقول إنه مثل الآخرين ، يقومون قبل السفر بجولة للأسواق لشراء الهدايا وأهم هذه ، الملابس الداخلية ، الساتان ، المثيرة ، الملونة ، الصغيرة .

(ف)

لابد أن الليل قد تقدم . تقدم جدا :

فتحت عينى على ضوء التليفزيون . لابد أننى نمت مستلقيا على الصوفا بقية المساء . لابد أننى لم أكمل مشاهدة برنامج المسابقات ، على الرغم من المذيعة اللبنانية الفاتنة والتى تضحك طوال الوقت ، وتتكلم بلهجة بدوية بلا سبب ، ومساعدتها / مساعدتها لاتكف عن إظهار فخذيها . فى أغلب الحلقات ترتدى المينى جوب ، وفى البقية ، بنطلون محزق محزق يبدو منه بوضوح . كل شىء .

للأمانة ، للأمانة ياضحى أن هذه المذيعة سرقت الرجال من زوجاتهم ، وسرقت النوم من عيون الزوجات (مشكلة يعنى) .

وقد أثار هذا ، تصورى ياضحى ، فأنا أعرف أنك لاتطالعين الفضائيات لأنه ليس لديكم دش فى بيتكم ، أثار فى إحدى الفضائيات جدلا ساخنا بين نساء مصريات (بعضهن مذيعات بدا أنهن غيورات) وقالت إحداهن فى برنامج الـ «توك شو» :

fb/mashro3pdf

إننا لا نفعل هذا ، لأننا لانريد أن نفعل ، ولو فعلنا لسرقنا الجو ، لكننا لا نفعل ، ليس لأننا سمينات ، كما تشيع بعض الصحف ، بل لأن عندنا حياء .

لكن مذيعة مصرية تعمل فى تليفزيون الكويت كانت تثير الرجال أيضا ، على الرغم من أنها لم تكن ترتدى المينى جوب ، بل بنطلون محزق ، وتسببت فى مشاكل زوجية ، حتى أن إحدى الكويتيات ذهبت إلى مجلس الأمة وطلبت طرد هذه المذيعة من البلد ، لأن زوجها يتركها وينصرف للفرجة على بنطلونها ، وحطمت جهاز التليفزيون .

التليفزيون؟

أنا نفسى أحس بأننى يجب أن أحمى نفسى من الإدمان ، يكفينى الدخان والعادة .. لن أترك نفسى حتى أصل إلى حالة ثروت فخرى .

تصورى ياضحى : أنه يترك التليفزيون مفتوحا حتى فى غيابه عن شقته (تلك التى كانت بالأحرى ملحقا يسكنه بواب العمارة لكنه أصلح حاله وزين الجدران بصور المذيعات – نجمات العصر ، ويقول : فيللتى الصغيرة الجميلة) .

من هو ثروت فخرى ؟

سأحدثك عنه فى الوقت المناسب . يا . يا . ياه . حكايته حكاية . المهم . ثروت هذا لا يفعل شيئا ، بعد أن يعود من العمل ، سوى التليفزيون . يفتحه ٢٤ ساعة فى اليوم (قال إنه لو وجد فى اليوم ساعات أخرى لجلس أمام جهازه العزيز) ، وطبعا هناك الفيديو ، وشرائط الفيديو ، أقصد البرنو .

رأيته يخبىء الآلاف منها ، صدقينى ، صحيح أننى أبالغ أحيانا كأى ابن كلب متشرد فى بلاد الله ، لكن صدقينى هنا ، فأنا حين أقول الآلاف ، فإننى أعنى ذلك تماما ، الآلاف ، لقد رأيت هنا ، على أى حال ، كميات هائلة منها ، لا عند ثروت

fb/mashro3pdf

فقط ، بل فى كل مكان ، فى كل بيت دخلته ، لايمكن أن تكون هذه الكميات موجودة فى أى مكان آخر فى العالم ، تحت المقاعد ، خلف رزم الصحف الإعلانية المكدسة فى الاركان ، فى صناديق كرتونية مغطاة بالملابس ، مدسوسة تحت الأسرة ، خلف مئات زجاجات الكوكاكولا والسفن آب فى المطابخ. فى الحمام بين الملابس الوسخة . فى جيوب البنطلونات المعلقة فى الدواليب وعلى الجدران وخلف الأبواب ، تحت أحواض الغسيل ، وحتى فى أكياس البلاستك خلف سلال الزبالة، هنا وهناك .

لكن ثروت فخرى ، صاحب الوجه المسحوب الذى لايمكن إزالة الشعر عنه ، صاحب العينين الضيقتين والقامة القصيرة ، العصبى ، المبتسم (دائما بعصبية) لم يكن فقط مدمنا للشرائط ، لا ، إنه عاشق ، نعم ، عاشق متفرغ لرؤية الصور ، صور الأجساد الساخنة ، المتداخلة ، والأعضاء التى تنز بالعرق ، تنداح منزلقة يتصاعد منها الغبار ، أقصد البخار :

شفاه غليظة تتلو أقدام تنقبض ، وأيد ترتفع متشنجة أصابعها تستغيث ، عيون مغمضة تفوح بالتوهان . زجاجات تتسرب فى الأعضاء التى ينز منها الدم ، سلاسل تلف أجساما عارية . أحدهم يضرب أحدهم بالسوط الذى يطرقع مع تأوهات مدوية . أصابع ضخمة من المطاط تدخل وتخرج . أزيز .أزيز . أزيز .

و.. لأول مرة أتعرّف ، أرى ، بأم عينى ، ما كنت أسمع عن وجوده فى هذا العالم (صنعة مجتمع الرفاهية القادم من الغرب) الجنس الثالث ، نساء بأعضاء ذكرية وأثداء نساء ، ورجال بأعضاء نساء وعضلات رجال .

قال :

قد يكون هذا مقززا بالنسبة لك ، لكن الناس هنا ، الناس الغرباء ، فقدوا سيطرتهم على كل شىء ، لم يعد هناك سوى هذا الشىء ، فكل شىء هناك كان هنا أصبح لاشىء .

fb/mashro3pdf

ماذا ؟

قال : هذه هى الحال ، فكيف لك أن تصعد إلى التل دون أن تنكسر نظرتك من اللهب ؟

ومع ذلك فالأذان يصدح من مئات المآذن .

وداخل المساجد حلقات من المؤمنين الذين نذروا أنفسهم للجهاد فى سبيل الله.

الأغرب أن على سليمان كان أحد رواد هذه الحقات .

(ف)

ولابد أنك تتساءلين ياضحى :

ما علاقة ثروت فخرى بعلى سليمان هذا ؟

على هو الساحر هنا . الأستاذ الذى يملك حججا لاتنتهى عن أهمية الصورة . يقول :

كوننا فى عصر الصورة هذا أمر منته نهائيا ولا يناقش – ويغمض عينيه أكثر – لا يناااقش .

صياد لايكف عن الشرح . داعية لايكف عن الكلام . ما أن يقع الشخص ، أى شخص ، تحت عينيه حتى تأخذه الجلالة ويبدأ فى الكلام . قلت كلام ؟ . لا . فى الخرير الذى لايتوقف . إنه يخر ياضحى كالصنبور «الخربان» ولا يكف ولا يكف ولا يكف ، لا يتوقف حتى يأخذك كليا إلى عالمه الساحر .

– «عالمى الساحر» .

يقول . يصف . عالم لايمكنك حين تدخليه أن تخرجى منه ، لأنه .. لا أعرف .

على سليمان هذا يقول إنه أديب متخف ، وأقسم أنه نشر مائة قصة قصيرة فى جريدتى «الأهرام» و«الجمهورية» لكنه للأسف لم يحضرها معه ، لأنه جاء

fb/mashro3pdf

خطفا ، فى يوم وليلة حصل على الفيزا والتذكرة والعقد وكل شىء وجاء حتى دون حقيبة ، مجرد «هاند باك» صغيرة ، التى هى معه دائما (لايفارقها حتى وهو فى الحمام) لأنه يحمل فيها كراريس يقول إنها مخطوط رواية عظيمة عن قريته فى النوبة ، وخلف الكراسة ، فى الحقيبية ، دائما هناك شريط فيديو .

هل أقول إن ثروت فخرى وقع ضحيته ؟

ربما .

على يعمل، فى الظاهر ، فى محل فيديو فى سوق السالمية (فى الجزء المتواضع لا الجزء الذى تعرض فيه ، بعض المحلات ، بعض القطع النسائية بمبلغ يوازى راتبى لمدة خمسة أعوام ، وهى التى لايمكنك دخولها إلا «شمشمة» ، وفى أوقات الزحام ، وغالبا تنزاح للخارج بـ «صنعة لطافة» من صاحب المحل الذى هو غالبا سورى أو لبنانى) لكن على سليمان يعمل فى الواقع فى شقة سرية (فى أحد المناطق الخارجية) - خارج سور الكويت القديم الذى يفصل المناطق الحضرية عن البدوية ، وهو مالم يعد له وجود إلا فى بقايا أثرية ، لكنه موجود على الخرائط التاريخية ، كما توجد خطوط الطول والعرض على الخرائط الجغرافية ، بالإضافة إلى وجوده فى نفوس الكويتيين .

على كل حال أن أحدا من الشلة لم ير على سليمان فى أى من المكانين ، السرى والعلنى ، لقد سمعنا (الحكاية) منه .

هناك على الأرجح وكر لنسخ هذه الشرائط القادمة من روسيا المعاصرة على الأرجح .

حين لايكون ثروت موجودا ، ولسبب ما ، يحلو له أن يحكى الحكاية بدقة وتلذذ.

fb/mashro3pdf

– الجسد هو كل شيء . يمكنك أن تدخل عالمه ولا تعود (وها أنذا أعرف لأول مرة أن للجسد هذا ممرات خالية منها . أقصد من الروح) يمكنك أن تذهب ولاتعود . تتوه فى متاهته .

يضع الشريط فى جهاز الفيديو .

(يبدأ انسياب الأجساد البيضاء أولا – لأن هناك أجساداً سوداء . سمراء . صفراء – البضة أولا – لأن هناك الرشيقة . الغليظة ، والنصف نصف) .

الشرح من خارج الشاشة :

أنظر ، تطلع . هكذا تبدأ الحكاية : نظرة . إنها نظرة دائما هى تلك التى تبعث الرسالة (التى هى فى هذه الحالة رسالة خالصة بلا شيء آخر خارج الملموس) عبر موجة كهربائية غير منظورة ، لكنها هناك ، هنا : محسوسة بالأحرى . قمة التركيز فى حزمة الآخر . لا تصدق – يقول – إن الآخر حتى ولو كانت بغيا محترفة – لا ترسل هذه الأشعة ، حتى ولو كنت الرجل العاشر فى أمسيتها .

الكلام عن أن بعضهن يفقدن الإحساس بالتكرار غير صحيح ، أؤكد لك ، غير صحيح بالمرة .

(يتنحنح) .

لقد استطلعت الأمر .

سألت . الكل قلن أنهن يشعرن به . بعضهن فى البداية ، يقلن إنهن يفقدن الإحساس ، هذه مشكلة لغوية . مشكلة تعبير أعنى . لا أعنى الإحساس . بل المتعة طبعا ، لكنهن يحسسن بالتأكيد ، وإحداهن – كانت مصرية بالمناسبة – قال ذلك لأن اللبنانيات والروسيات منهن يسيطرن على سوق الخليج – وتعمل منذ كانت فى الخامسة عشرة – بداية من المهندسين ، ثم مصر الجديدة ، ثم خرجت

fb/mashro3pdf

ضمن الموجة الثالثة من أفواج المهاجرين ، لترفع من مستواها ، بالأحرى : تعمل تحويشة العمر ، أقصد تؤّمن مستقبلها فى حياة أفضل ، التحويشة التى تنفعها حين تصبح عجوزا كركوبة لايقربها أحد ، ولا حتى العواجيز من الرجال ، المهم ، هى اعترفت بأنها كل مرة تحس ، وفى البداية كانت تمل ، لكنها وجدت طريقة لتدريب نفسها على أن تستمتع (فى كل مرة) بدلا من أن يذهب مجهود الرجل هباء ، ثم أنها اكتشفت ، مع الخبرة ومرور الزمن ، أن الزبائن يشعرون بهذا (تقصد بالملل) وبالتالى تفقدهن بسرعة ، لكنها حين تحس ، فإنه يحس ، ويستمتع فيعود إليها (أليس هذا هو الجدل ؟) ولو بعد حين .

إن هذا يدخلها فى الحالة الأخرى – قلت لم لاتضع على وجهها قناع نادية الجندى ؟ – لا . لأنها خنـ . الأفضل أن أطلق عليها شمس البارودى ، فهى كانت، على كل حال تشبهها – حسب وصف على ، حين كانت فى شبابها الوافر ، المهم ، بدأت تدخل فى حالة أخرى من الإدراك ، وجاء ، طبعا مع الزمن ، بالأحرى مع مروره : فى اللحظة الخطرة حين تحس بأنه يكاد يفلت من بين أصابعك ، مع الشعرات البيضاء الأولى فى سالفيك ، فى رمشيك .

مرحلة الإدراك هذه (الصوت لايزال مستمرا من خارج الشاشة بينما الصور تتوالى) وحتى أكون دقيقا ، كان المشهد قد استمر بعد أن تم خلع الملابس :

قطعة . قطعة . إلى أن رأينا الرجل ، بالأحرى :

عضـ .

عندئذ أصاب أنا بالاشمئزاز .

بينما يتطلع هو بإعجاب ، خاصة وأن الأطوال قد تتجاوز العشرين والثلاثين (سم) يهتف باسم ... ، ويجدف بكلام لايصح .

fb/mashro3pdf

المهم ، مرحلة الإدراك هذه دفعت – شمس البارودى – لا أعرف لم لايذكر اسمها الحقيقى – كما قالت – إلى أن تمتلك القدرة على الأستمتاع كل مرة ، ومع كل شخص ، سواء كان هذا زبالا تفوح منه رائحة الطماطم العفنة والبصل النتن، أو رجل أعمال – يقصد نموجا عصريا للرجل الغنى – تفوح منه رائحة عطر فرنسى (ذكر أنه «شانيل» على وجه التحديد) عطر الرجولة الخالص – لأنها ، والإنسان مخلوق قادر على التكيف مع كل الحالات ، قادر على امتلاكها واستنطاقها أيضا – إن لم تفعل ، تتحول حياتها إلى جحيم .

كيف – يقول من خارج الشاشة ، بينما شريط الصور يتوالى – أقصد أن الجسد يتحرك وينبطح فوق الآخر ، ليس بالضرورة أن يكون الرجل فى المرتبة العليا) فهناك دائما تغيير فى الأوضاع ، تغيير أوضاع يساعد على الوصول ، يطرد الملل الذى يمكنك أن تحسه مع زوجتك التى انقضى لك معها على نفس الوضع نصف قرن . تصور ؟ – وهنا أحيلك إلى الدكتورة فوزية الدريع ، أستاذة السكسولوجى التى تكتب الرسائل فى الموضوع ، وتنشرها على حسابها ، محاولة أن تشرح الموضوع للخلق فى الكويت ، حتى لايضلوا .

الآن وصلت الصورة إلى الضرب الشديد والتأوه الواصل إلى حد الصراخ :

الجباه عرقى والأفواه مشرعة ، ترغى بالزبد ، ثم يسحب .. لا أعرف لم ، ودوب .. على الجسد الملتهب ينساب السائل حتى يصل إلى الفم الذى يخرج منه اللسان – كما الأفعى – ويلحس ويلحس بتلذذ ، أخ .. أتفو .

وأنا هنا أعود للاشمئزاز ، لكن على يقف مصفقا بيديه ويجدف بكلام خارج .

ينقطع الشريط ردىء التسجيل – إلى غرفة بها ثلاث نساء ورجل واحد كل منهن تمسك بجزء من جسده ، وفجأة – وبكل إبتذال – يدخل رجل أسود مفتول العضلات ، من فصيلة كمال الأجسام – ضخامها بالأحرى – وأمامه

fb/mashro3pdf

ماسورة تتقدمه ، يقذف منها ماء يغرق النساء الثلاث ، والرجل ، والسرير ، فأتقياً .

بعدها ، لم يغفر لى على هذا أبدا ، حتى عشت عدة أسابيع فى رعب ، فأنت ياضحى لاتعرفين هؤلاء الناس ، إنهم أخطر أنواع البشر : أصحاب النظريات هؤلاء ، لايتورعون عن القتل إذا أحسوا ، ولو بالخطأ ، أنك تقفين فى وجه عقيدتهم.

آه . لقد طال الحديث عن هذا الوغد .

علىّ أن أريح جسدى المتعب . علىّ أن أرتاح .

(ف)

فى الصباح الباكر . فى الغرفة :

اليوم هو الخميس . لن أدع شيئا (أو أحدا) يبدد يوم عطلتى هذا ، سأمتلكه وحدى – (أمتلكه وحدك يارفعت الجمال) .

أجمل الأشياء هنا أنك تحصلين على يومى إجازه كل أسبوع ، عكس مايحصل فى مصر ، ليس لك إلا يوم الجمعة .

ياه . كنت قد أوقفت حالى دوما أمام الزمن ، وها أنذا أكتشف الآن المكان :

الزمان والمكان ، مالذى يجعلهما هكذا متلازمين مع بعض ؟. هذا أفضل على كل حال .

دخلت الحمام وأصلحت من حال نفسى (حال نفسى فعلا) :

حلقت لحيتى وعانتى وما تحت إبطى . تناولت دوشا ساخنا – الماء ينزل لوحده ملتهبا من الصنبور ، وفى لحظات يمكنه أن يلسعك – لكنه كان ماء دافئا على أية حال ، يبدو أن الجو فى الخارج فى حالة تحسن ، من الأفضل ألا تقول ذلك لأى كويتى تراه ، لأن عندهم عقدة الجو ، فلا أعرف لم يغضب بعضهم حين

fb/mashro3pdf

تقول إن الجو نار أو من هذا القبيل ، وكأنهم المسئولون عن الحر لا الخالق ، اه لو قلت إنه جو مرعب ! سيكون جوا طيبا على كل حال ، فلم أفسد صباح عطلتى بهذه الخزعبلات ؟

وتجففت بمنشفة (هل هى منشفة أم فوطة ؟) منشفة بيضاء نظيفة (فأنا أهتم بمناشفى جدا . أحب أن تكون دائما ذات ألوان زاهية ، ودائما نظيفة ، ومعطرة ، بالضبط كما أهتم بنظافة سريرى وملاءاته : أحب أن تكون أيضا بيضاء ونظيفة . لا . فى الحقيقة إن إهتمامى بسريرى يتجاوز هذا الحد إلى درجة أننى فكرت أن أكتب رسالة أو بحثا أو من هذا القبيل عن الموضوع أسميه «أنا وسريرى» .. المهم ، أرتديت «سليب» أبيض أيضا وقميصا قطنيا نصف كم (صنع فى مصر ، لا من باب وطنية الصحف ، ولكن لأن القطن المصرى جميل بالفعل) لون القميص كاكى على جينز حائل (من باب العصرية) وأحكمت قدمى على حذائى الجلدى ، وأصبحت فى أحسن حال .

تعطرت من زجاجة الأو سوفاج (ذلك العطر الذى أحبه والذى عرفتنى عليه فى الحقيقة أول مرة البنت الإيطالية باترتسيا) وأصبحت فى أحسن حال .

أحسن حال فعلا .

فتحت الشباك . لم يكن الجو ساخنا جدا ، فقلت لأنزل اليوم إلى المدينة : أعنى ذلك الجزء الذى يوحى بأنه مدينة فيها بعض الناس .

ليس هناك صعوبة كبيرة فى أن تجد وسيلة نقل «غير شرعية» تقلك إلى حيث تريد ، لأنه ممنوع على التاكسى أن يقف ويقلك من الطريق ، فعليك أن تطلبه بالتليفون ، الأمر الذى لا تسمح به ميزانيتى ، (كل الناس يسألوننى لم ليس لديك سيارة ؟) على الرغم من رخص السيارات المستعملة ، والحقيقة أننى لم أفكر فى الموضوع ، وقد سهل الأمر سلطان أبو حمزة مقابل ثلاثين

fb/mashro3pdf

ديـنـــارا يتـقـاضـاهـا منى فى السـر – كل شـهـر – ليـقلنى من البـيت إلى العمــل وبالعكس .

وقفت على الرصـيف للحظات بطريقة توحى أننى أريد «توصيلة» فوقف سـائق عربة وانيت ربع نقل (تلك التى يقـودها غالبا شـخص من فئة البدون ، غالبا من المناطق الخـارجيـة ، يسعى على رزقه ، ولا يغـشك لبـاسـه : الدشـداشـة والعـقال والشـمـاغ ، فقـد يكون فقـيرا لم يتناول إفطاره بعد) لكننى كنت نازلا إلى المدينة لأتفسح فلم أجد هذا مناسبا وأشـحت وجهى عنه فابتعـد ، فأنا لست فى حالة تسمح لى بمشاكل مع البوليس الذى يتعمد دوما القبض على هؤلاء البدون ، وهم متلبسين بجريمة توصيل الناس بشكل غير شرعى .

لا تسـألينى يا ضـحى عن مـشكلة البـدون هؤلاء ، فـالموضـوع طويل وعريض ، فـهم يقـولون أنـهم من هنا ، والبـوليس يقـول أنهم من بلاد أخـرى ، لكنهم مـزقـوا بسبوراتهم ليبقوا ويتمتعوا بخيرات البلد ، والحقيقة أن بعضهم هكذا وبعضهم هكذا ، وهذا ما قاله لى «أبو محمود» صاحب العمل وهو كويتى طيب .

وكـانت عـربة لادا قـد هدأت من سـيـرها على الجـانب الآخـر من الطريق . ابتسمت لسائقها الذى بدا مبتسما هو الآخر على غير العادة (فـأغلب الوجوه هنا عابسـة) أشـار إلىّ ووقف على جـانب ، وكان علىّ أن أعبر الطريق للجهة الأخرى من التلتوار ، فتحت الباب وجلست بجواره . من اللحظة الأولى أدركت أنه مصرى (أغلب المصريين على أية حال يركبون اللادا) بعد لحظات من الصمت قال لى إنه اسـمه على وسـألنى عن اسـمى ، حتى إذا أوقـفنا البوليس ، نقول إننا أصـدقـاء ، لكننى تجاهلت سؤاله ، فكيف للمرء أن يصبح فى علاقة بسبب البوليس ؟ سـألنى عن وجـهتى فقلت إننى نـازل البلد (كما لو كنت فى مصر الجديدة ووجهتى ميدان التحرير) ضحك وسـألنى : تعنى الكويت ؟ فقلت : آه .

fb/mashro3pdf

عرفت بعدها أنه نجار مسلح له هنا سبع سنوات ، لكن أحواله الآن (دائما الآن) ليست على ما يرام بسبب خلافات مع زوجته (دائما تظهر الخلافات مع الزوجات فى مثل هذه الحال) بدا أنه يريد سرد قصته لكننى أبديت له عدم رغبتى الخوض فى التفاصيل فى هذا النهار الذى قررت أن يكون ملكى وحدى ، فغيرّ الموضوع وسألنى عن عملى فخطرت ببالى الفكرة التى عاهدت نفسى عليها سابقا : أن لا أبوح لأحد بطبيعة عملى (لا لشىء إلا لأنه عمل تافه يحسن تجاهله ، ويكفى أننى أعيشه كل يوم ثمانى ساعات أعانيها وحدى ، فقلت له أننى أعمل فى وزارة الداخلية (ولم يكن هذا صحيحا بالطبع) وأن اسمى أبو على (هكذا وجدت لنفسى قناعا ، والناس هنا جميعا يسمون أبو فلان ، فلم / لا أكون أنا أبو على ؟) .

أخيرا أفلت منه بأعجوبة ، خاصة وأن أحاسيسى قد ازدادت رهافة حيال ما يطمح إليه البشر . لا . أقصد حول ما انتهت إليه حالهم : إنهم ينصبون لك الشباك ، وقد تسقط فيها ، وعندئذ يصبح همك الأكبر (أو شغلك الشاغل) كيف تتخلص منها ، كيف تمزق الحبال المتشابكة حتى تخرج سابحا من البحر المحيط إلى السطح ، وربما استمر الأمر ككابوس لا تصحو منه إلا وأنت جثة هامدة ، لكننى نجوت ، لم أنصت لبقية حديثه ، قصته ، ودفعت له أكثر مما يجب (حتى لايكون هناك مجال لكلام آخر) ونزلت قبل أن أبلغ النقطة التى نويت النزول عندها .

لقد وعدت نفسى وهاأنذا أفى (لها) بوعدى : هذا اليوم يومى . إنه وقتى الخاص . لن أدع الآخرين يسلبوه منى .

هاأنذا أقف يا ليلى ، أقصد يا ولاء ، على التلتوار ، فى صباح رائق نادر ، ليس هناك حر أكثر من المعتاد (فى ديسمبر) . ليس هناك رطوبة خانقة . بل ليس

fb/mashro3pdf

هناك بشر (أعنى فى الشارع الذى أقف فيه وأظن أن اسمه شارع الجهراء) وهاأنذا ألمح مجمع المثنى التجارى وأمامه فندق المريديان ، حيث يقبع بجواره مقهى السيجال الصغير الهادىء (يبدو وكأنه انتزع من الإسكندرية) هنا يمكننى أن أشم رائحة المدينة ، وأنا أتطلع للزبائن المتوحدين مثلى (يدسون وجوههم فى الصحف - التى هى شىء مهم فى حياة الناس هنا) ولكن هذا هو فعلا ما عليه حالهم : هل يمكننى أن أقول أنهم أشخاص كزموبوليتان ؟ أشخاص متشابهو الملامح ، وإن كانت الملابس مختلفة ، هذا لا يعنى بالطبع أن هذا ليس كويتيا ، والآخر إنجليزى ، وذاك أستاذ جامعى مصرى (كما يبدو) لا . إنك بعد التدقيق ستكتشف هذا ، لكن هناك ما يجمع بينهم ، شىء ما مشترك ، ربما هى تلك الصفة .

جلست فجاءت الجرسونة الفليبينية «المطأطأة» مبتسمة من القلب ، فعلا ، (ماذا يمكننى أن أقول؟) وقالت بإنجليزية أهل آسيا :

- نعم سيدى .

طلبت قهوة «أكسبرسو» وماء ، كانت ترتدى جونلة ترتفع ما فوق الركبة بإصبعين ولاحظت أن ساقيها لامعتين و.. لا بأس بهما .

على أى حال كنت قد تعودت منذ التقيت مارى فى بيت على الأشول أن أكف عن التفكير فى كل فليبينية باعتبارها موضوعا جنسيا وفقط (على الرغم من أن الموضوع لا يدعو إلى هذا الحد من الإزعاج - على الأقل بالنسبة لأغلبهن) .

كانت مارى قد كشفت عن وجه آخر ؛ أخذت تتحدث عن الرسم والعمارة ، عن الشعر وتنسيق الحدائق ، طبعا ، أرادت عامدة أن تستعرض ثقافتها (ربما لأنها لمحت فى يدى كتابا) لكنها أبدا لم تعلن ترفعها عن حياتها المزرية .

fb/mashro3pdf

أين أنت يا مارى ؟

اختفت . ربما لغلظة أبداها على الأشول تجاهها ، على الرغم من أنه عادة إنسانى جدا ، انشقت الأرض وبلعتها .

– نعم ؟

قالت الجرسونة وهى تقترب .

قلت :

– لا شىء .

قالت :

– كنت تحدثنى سيدى ؟

قلت :

– لا . كنت أحدث نفسى .

قالت :

– آه . شكرا سيدى .

مرعوبة من أن تكون قد خالفت أمرا . أقصد لم تلب نداء . يا له من رعب .

(ف)

بعد أن أخذت نصيبى من جلسة المقهى قلت لأتمشى فى الأسواق القديمة . أظن أن يوم الخميس هو يوم استيلاء الآسيويين على المنطقة ، هنود وباكستانيون وأفغان : يتجمعون فى مجموعات صغيرة متزاحمة ، خمسة أو ستة أشخاص . رجال ونساء ناحلون . يميل لونهم إلى الأسمر المسود ، فى الحدائق ، فى الممرات بين المبانى ، فى المقاهى ، فى الميادين ، يلتقون ، يبيعون ويشترون ، يتبادلون الأخبار ، يتواعدون للقاءات سرية (هكذا قالت إحدى الصحف) يرون بعضهم البعض ، كتلة واحدة ، ربما ، يتذكرون أسواقهم الشعبية،

fb/mashro3pdf

تفوح منهم رائحة عرق الشقاء المخلوط بالعطر الصناعى الرخيص ، وآثار المطابخ ورائحة البنزين .

تمشيت قليلا وعدت فى اتجاه «سوق المثنى» ، دخلت مكتبة «المكتبات الكويتية» واشتريت «الأهرام» و«الأخبار» (وأنا أحدث نفسى بالخطأ الذى ارتكبته ، فليس هنك فرق بين الصحيفتين) وقلت : ربما يكون هنا شىء ليس موجودا هنا ، ودخلت محل «التوباكو» واشتريت تبغا ماركة «أنفورا» إننى أفضله فى البايب ، بالأحرى لا أشعر بالألم منه ، أقصد أن ألمه على صدرى أخف قليلا من أى تبغ آخر جربته .

انسحبت عائدا إلى الطريق ، قلت لأمش فى اتجاه الطريق السريع الرابع ، لكننى عدت أدراجى فى اتجاه السينما (ربما هو حنين لإدمان قديم ، يوم كنت شابا أعود سينما الشرق الشعبية فى السيدة زينب ، أشاهد ثلاثة أفلام بقرشين) لكننى نسيت أن أحضر السميط والجبنة الرومى ، الفشار والترمس ، لا ، ليس هنا ترمس على أية حال ، لم أره أبدا ، لكننى رأيت الحلبة المزرّعة .

كان الزحام أمام السينما على أشده ، ومع ذلك استطعت أن أجد لنفسى مكانا ، فيلم هندى قديم ، أظن أننى رأيته عدة مرات من شريط فيديو ، البركة فى ثروت فخرى .

فى الضوء الخفيف ، والراقصات الهنديات يتمايلن ، قلت للشخص الذى جلس بجوارى ، ولا أعرف لم ، بالإنجليزية «المضعضعة» :

– هؤلاء الهنود ، أليس لديهم شىء سوى الرقص والغناء طوال الوقت ؟

تجهم وجه الرجل ، بدا للحظة أنه هندى على الرغم من أن مظهره لا يوحى بذلك ، قد يكون مصريا أيضا ، القميص والبنطلون ، هذا اللباس العالمى ، لكن

fb/mashro3pdf

ردة فعله جعلتنى أتأكد من أنه هندى ، من حقه أن يتعصب لثقافته ، فكلنا متعصبون ، إن على خطأ أو صواب ، العالم كله فى عصبية مجنونة ، وهو ابن الأمة الضخمة والتراث العظيم أليس من حقه أن يتعصب ؟

نظرت ناحيته وفى نيتى أن أقول له أننى أحب اليوجا ، وأمارسها أحيانا ، حين تصل بى الأمور إلى حد لا يطاق ، لكنه كان لم يزل متجهما ، لم يستجب ، قلت لأعتذر ، لكننى لم أفعل .

(ف)

ها أنت تمسك بنفسك مفعما بإحساسك بالذنب ، ما الذى فعلته ؟ لقد كنت تود أن تتجاذب أطراف الحديث ، أو أن روحك المصرية الساخرة أرادت أن تعبر عن نفسها .

لكن أليس كل الناس قابلين لتلقى روح الدعابة ؟ هذه ستكون ، أقصد ، كذلك ، عقبة فى سبيل التواصل ، لكن لم أفكر أنا على هذا النحو ؟

لم أفكر أن روح الدعابة حكر علىّ .. ؟

أحسست بالقرف ، تركت المغنية الهندية ترقص وتهز رأسها كثيرا وخرجت ، على الرغم من أن بطنها العارية كانت مثيرة للغاية ، وعيناها جميلتان .

مشيت طويلا وكثيرا ، وكان المساء قد بدأ يرخى سدوله .

لابد من تغيير المنظر .

أشرت إلى تاكسى ، تأكد سائقه من أنه ليس هناك رجال شرطة ، فتح الباب وأشار بسرعة ، قفزت للداخل وقلت له أن يذهب إلى شارع البحر .

– شارع الخليج يعنى ؟

– آه .

– أنت مصرى ؟

fb/mashro3pdf

– آه .

– لذلك أنا وقفت لك ، أنت تعرف أن هذا ممنوع .

– أعرف.

عرفت من لهجته أنه سورى ، لكننى لم أكن مهتما ، فقد كنت ، لسبب ما ، على عجلة من أمرى لأصل إلى شارع الخليج ، كنت أود أن أرى البحر .

– فى كل بلاد الدنيا التاكسى ..

قاطعته غصبا عنى :

– ما هو السر ؟

– السر ؟ لا شىء . ربما مصلحة لشخص ما ، أو جهة ما ، كأى مكان فى الدنيا هناك أشياء تمنع لمصلحة شخص ، وأخرى تباح لمصلحة آخر .

– يا سلام .

– أى والله ، ألا تصدقنى ؟

– وهل عندكم كذلك ؟

– فى الشام ؟

– عندنا مثل عندكم وفى أى مكان آخر .

– وأنت إذن الولد الشجاع الذى يتحدث بذلك ؟

– هنا فى الكويت أستطيع أن أتحدث عن الشام كما أريد .

وضحك.

ضحكت أنا أيضا ، ورأيت المكان الذى أود النزول عنده فطلبت منه الوقوف .

دفعت له دينارا ونزلت ؛ وشاهدت فى عينيه كلاما ربما كان يعنى به أنه أنار لى الطريق لفهم بعض الأمور الغامضة .

fb/mashro3pdf

لكننى بالفعل وجدت صعوبة فى عبور الطريق ؛ حتى من المكان المخصص لعبور المشاة ، العربات تنطلق كالقذائف ، لكن شخصا نبيلا وقف وأشار لى بالعبور .

وصلت إلى الجانب الآخر .

كان الخليج هادئا لكننى ، وقد حل الظلام ، لم أكن أراه بسهولة . قلت لم لايضيئون البحر ليلا حتى يراه الناس ، لكن وكيف سيكون عليه القمر إذ يظهر ؟ وجلست .

كانت الحرارة تنبعث من الحجر، فلم أستطع الاستمرار فى الجلوس ، أخذت أمشى وأمشى وأنا أحس بالوحدة والاختناق حتى حافة البكاء .

قلت إنه ما كان يجب علىّ المشى وحيدا فى مثل هذا الجو ؛ لكننى لمحت سوق شرق يقترب فأحسست براحة .

كان السوق الذى بنى حديثا ليضم عددا ضخما من المحلات التى تبيع أشهر وأغلى و«أشيك» الملابس والأحذية من الماركات العالمية الشهيرة قد أصبح – من جهة أخرى – فرصة للأولاد والبنات للتواجد فى مكان واحد ؛ مكان فخيم مكيف الهواء تفوح منه روائح العولمة التى تصيبك بالخدر وتوهمك بأنك فى روما وباريس ولندن ونيويورك فى نفس اللحظة ؛ لكنك حين تتطلع جيدا تجد رجال الرقابة الذين يحدقون هنا وهناك تقدح عيونهم بالشرر تجاه الشاب الذى ينظر (يحدق) للفتاة بعينين جائعتين ، تعرف أنك لست فى روما ولا باريس أو لندن ولا فى نيويورك ؛ إنما أنت هنا فى مكان ما على الخارطة العربية ؛ حيث يمكن لنظرة أن تحدد مصيرك للأبد .

ركبت السلم الكهربائى (المتحرك) إلى الطابق الثانى من السوق . كنت قد بدأت أحس بالوحدة الصاعقة من جديد . جلست إلى طاولة من طاولات «كنتاكى»

fb/mashro3pdf

على الرغم من أننى لا أحب هذا الدجاج الكنتاكى ، فجاءت البنت الفليبينية وسألتنى بإنجليزية مكسرة فطلبت منها وجبة بالفلفل الحار (على الرغم من أن الطبيب منعنى من الشطة بعد عملية البواسير) وبإنجليزية مكسرة أيضا شكرتنى (على مجرد طلبى) فقلت : يا للأدب ، ولمحتها تبتسم وترمقنى من مكانها عند الكاونتر بإشارات ظاهرة ، حتى أن شابا كويتيا ، كان يجلس إلى الطاولة المجاورة ، ابتسم ، وراح يرقب الموقف بإمعان ، وبينما كانت الفتاة تضع الوجبة أمامى راح الشاب الكويتى يهمس لى :

– أعطها الرقم . أعطها الرقم. الرقم .

هززت رأسى ، فلم أكن أعرف عن أى رقم يتحدث واقتربت منه :

– أى رقم ؟

قال بحماس ، بإخلاص الناصح :

– رقم تليفونك ؟

قلت :

– آه .

وقف الشّاب الكويتى ووضع النقود على المائدة وقال باستنكار :

– أنت مصرى ، أنت مو مصرى ، المصرى فهلوى ، أنت مو مصرى .

وبلهجة مصرية أضاف :

– «المصرى ياكلها وهيا والعة» .

ولم أعرف بالضبط ما الذى يجعلنى غير مصري ، فلم أكن فى الحقيقة أحب هذه الطريقة فى اصطياد النساء ، وإن كانت لى ، كأى ذكر فى هذا العالم ، طريقتى الخاصة فى الإيقاع بهن ، وأظن أنه حتى ذئب البرارى يعرف بعض الطرق ، وإلا فلن يجد حلا للخلاص من كآباته .

fb/mashro3pdf

أنهيت طعامى وأشرت للفتاة الفليبينية لأدفع الحساب ، فوجدت أنها فعلا ، كما قال الشاب الكويتى «مسخسخة» ، أقصد «مسهمة» وراحت «تسبل» عينيها وترخى يدها فى يدى حتى خلت أنها ستنام ، فقلت سبحان الله ، وكيف عرف الشباب الكويتى أنها تريد ، وأنه كان علىّ أن أعطيها الرقم ، ولكننى لم أفعل ، بل اندسست بين الناس المتزاحمين فى مركز سلطان التجارى حيث يمكنك أن تشترى «ربطة» البصل الأخضر بما يعادل خمسة عشر جنيها مصريا (لأنه قادم اليوم من مزرعته فى آخر الدنيا فى كاليفورنيا بالطائرة) وإن كان عنده أيضا ، غير البصل والتفاح الأمريكانى ، ألعاب تايوانى لا فائدة منها سوى أن تضعها فى هذا الركن أو ذاك من شقتك التى لابد أن تكون سوبر لوكس لأنك ستدفع مال قارون فى أى لعبة من هذه اللعب ، وبما أننا كنا قد اقتربنا من الكريسماس فإن أغلب اللعب كانت فى شكل بابا نويل ، ومصنوعة من البلاستك أيضا ، أى يمكنك أن ترميها فى كيس الزبالة بعد المناسبة مباشرة ، فوجدت فى هذا ما يدفع إلى الابتسام ، وإن لم يكن بالضرورة يدفع للضحك بصوت عال (الذى هو قليل بطبعه هذه الأيام) ، فقلت : «معلهش . هيا بنا» وفعلا «عملت هيا بنا» ومشيت خارجا من المركز وأنا أخشى أن يسألنى أحد الواقفين من حراس اللصوص المتخفين فى الدشاديش لم لم أشتر شيئا ، أو ماذا اشتريت أو أى سؤال يكشفون به ، بخبرتهم فى كشف اللصوص ، ما إذا كنت قد أخفيت شيئا تحت هدومى ، لكنهم لم يفعلوا ، وإنما رأيتهم ينظرون بتمعن ناحية جيوب سترتى (على الرغم من وجود جهاز كشف السرقة على الباب) لكن انتهى الأمر على خير ، وبعد أن انتهى على خير ، أكملت جولتى فى سوق شرق ، وانتابتنى تلك الأحاسيس التى تراود مدمنى التسوق ، فعرفت معنى هذا الشىء الذى يسمونه حمى الاستهلاك ، ذلك المنظر الذى كنت استنكفه وأحس حين أراه بالقرف ، وجدت نفسى فيه ، بالفعل ، لقد

fb/mashro3pdf

أحسست فجأة بحرارة جسمى ترتفع ، حتى أننى أحسست بقيمصى يكاد يشتعل فوق جسدى ، وشممت بالفعل رائحة دخان رأيته يتصاعد من تحت إبطى ، فأحسست برعب ، فقفلت خارجا إلى كورنيش الخليج ، وقلت لأذهب إذن إلى مقهى «ليالى الحلمية» (المأخوذ اسمه من اسم المسلسل المصرى الشهير) وفعلا مشيت إلى هناك ، وطلبت شيشة وشاى بالحليب ، وتذكرت صاحبى عادل السيوى كاتب الروايات الذى قال لى بأنه سيكتب يوما رواية عنى ، أكون فيها شاربا للشاى بالحليب طوال الوقت ، كأحد ملامح شخصيتى ، ثم إن الوقت قد تأخر ، ووجدتنى فى الطريق أشير إلى السيارات ، حتى وقف لى شخص باكستانى ممن يدورون فى الشوارع يلتقطون الناس لتوصيلهم بربع دينار ، وقد أمكن لى التفاهم معه بهذه اللغة المخلوطة (خلطبيطة) بين الكويتى والباكستانى والإنجليزى ، لكنها أصبحت اللغة المتداولة هنا ، حتى أننى أصبحت أجيدها كالبربند ، وبالفعل تحدثنا وتحاكينا طويلا عن أشياء كثيرة خاصة مأساة الغربة ، وكذلك عن أهلنا فى البلاد ، لكننى اختلقت قصة لحياتى جاءت من وحى الخاطر ، فقلت إننى ، فى الحقيقة ضابط بوليس سرى ، وأننى قادم إلى هنا فى مهمة سرية ، فقال إننى ربما أتابع الإرهابيين الذين يقتلون السياح الأوروبيين عند الأهرامات فى مصر وتسميهم الحكومة بالأفغان كما قرأ فى الصحف ، فابتسمت له بما يعنى أننى فعلا جئت لشىء كذا ، وإن لم يكن هو بالضبط ، فقال إنهم فعلا يأتون إلى هنا ، وأنه رأى بأم رأس عينه (كذا) عددا منهم ، لكنه سرعان ما يجدهم يختفون ، لأن الحكومة هنا أيضا لا تريدهم ، وأنه هو نفسه كم تمنى أن يكون مثلى من هؤلاء الرجال ذوى المهمات السرية ، فقلت إنه يبدو أن هذا من طبيعة البشر ، ففغر فمه مستفسرا ، لكننى هززت رأسى وطلبت منه إيقاف السيارة ، وبما أننى كنت قد تحدثت معه عن هذه المهمة السرية فقد نزلت بعيدا عن بيتى حتى لا يعرف أين

fb/mashro3pdf

أسكن ، لأنى أظن أنه هكذا يفعل الرجال السريين ، أقصد الذين يعملون فى هذا العمل ، لذلك فإننى حين جئت لزاوية الشارع تلفت خلفى فلم أجده فاطمأننت ، ودرت حتى دخلت مسكنى ولمحت فى مرآة الصالة من يسألنى : أين كنت ؟ هل كان يوم عطلة طيبا ؟ والآن قل لى ماذا ستفعل ؟

(ف)

العودة إلى البيت ؟

دائما تكون العودة إلى البيت مصحوبة بنهاية اليوم ، ما الذى يعنيه هذا يا ضحى ؟ ، ولسنا حتى يا بنيتى موضوعا لرواية ، رواية ضخمة ، رواية يرويها راوٍ يرى رؤى ، رؤى ضخمة كما الأنبياء بالكوارث .

لكننى على أية حال غيرت الجو .

وانفردت بنفسى .

هذا هو السرير .

والضوء الخفيف (من الأباجورة القش)

اطفى الضوء . أقض عليه .

لا . أنتظر

ووجدتنى أخرج الصندوق ، أقصد الكشكول الصغير الذى كانت ضحى قد أهدتنى ؛ وقلت إن من الأفضل أن أواصل كتابة الرسائل التى علىّ أن أكتبها حتى أتمكن من إرسالها فى الصباح .

وسحبت البطانية على جسدى المتعب وأمسكت بمجلة العربى لأقرأ قليلا حتى يبلغنى النعاس . كان هناك موضوع مصور عن نيبال : عن جبالها وفضائها الروحى ، خاصة فى منطقة ثاميل ، هناك حيث يمكنك أن تجد أهل التانترية الذين يخلطون طقوس الروح بشهوات الجسد على درب الخلاص .

fb/mashro3pdf

قلت قد يكون هذا حلا .

من يعرف . ربما أنهيت بقية حياتى هناك .

(ف)

صباح الجمعة :

كان الضوء هو الذى أيقظنى (نسيت الستائر غير مسدلة) فى نفس موعد استيقاظى أيام العمل . أفكر فى تجنب حضور الشلة للإفطار الأسبوعى الذى هو اليوم من نصيبى ، أقصد أنهم سرعان ما سيحضرون واحدا وراء الآخر عندى ، ويكون علىّ قبلها إحضار الفول والفلافل والبيض والخضرة (التى يصر عليها على الأشول أكثر من أى شخص آخر) الكراث بالذات له أهمية خاصة عنده ، ربما تجاوز عن الفجل والجرجير والبصل الأخضر ، لكنه لن يتنازل أبدا عن الكراث . كنت أتمنى الجلوس مع نفسى والتفكير فى .. أيامى المقبلة ، كيف سيكون عليه حالى مع مرور الزمن ، هذه المسألة التى يسمونها المستقبل ، فالأيام تمضى وأنا لم أحدد بعد مصير الزواج والأولاد . تلك الأشياء التى يصر الجميع على أهميتها . أنا أحتاج فعلا إلى امرأة بجوارى ، لكننى فى نفس الوقت أحب ، أقصد لا أطيق أن أحس بأننى أعيش فى خريطة تحدد عالمى ، أحب أن أكون وحدى .

ثم مسألة العمل هذه . كيف سأستمر فى هذه الوكالة ومهمتى الملة : عمل الملفات وصياغة رسائل إلى كل ابن حرام له صلة بالعمل (ثم أن جهدى يتضاعف نتيجة أننى لم أتعود الكتابة مباشرة على الكمبيوتر ، ويكون علىّ صياغة الرسائل أولا بخط يدى ثم كتابتها على الجهاز ، ثم إعادة تصحيحها وعرضها على أبو محمود (صاحب الوكالة) ثم إرسالها إلى المقاولين وأصحاب الأعمال الأخرى ، طبعا نحن لا ننتج شيئاً بالمرة ، وإنما يقتصر عملنا على استيراد العمالة من

fb/mashro3pdf

الخارج (الفنيين من الرجال من مصر والهند وباكستان ، والسكرتيرات من لبنان) ثم أعمال السمسرة والحملات الإعلانية التى يديرها الأردنى من أصل فلسطينى أبو نضال ، وأغلبها حملات (بعضها وهمى وبعضها حقيقى) للمرشحين فى انتخابات مجلس الأمة .. وهى التى تدر أغلب المال للوكالة ، يليها استيراد السكرتيرات الفاتنات.

ما أقلقنى فى الأمر هو ما قرأته فى إحدى الصحف ، بقلم طبيب مصرى ، عن أمراض المهنة ، وأكد فيه أن الأعمال الكتابية تصاحبها أمراض عديدة على رأسها أمراض القلب والضغط والعمود الفقرى ، لكن المقلق فى الأمر هو ما أكده الطبيب ، نقلا عن دراسة أمريكية تؤكد أن ٧٠٪ من الذين يمارسون أعمالا كتابية ينتهى بهم الأمر للإصابة بالسرطان ، وقال إنه يرجح أن ذلك لا يعود للعمل نفسه ولكن ما يصاحبه من تدخين ، وإذا كان فى هذا العالم كله ابن عاهرة يدخن السجائر أو الشيشة أو البايب أو حتى السيجار بكميات كبيرة ، فإن ابن العاهرة الذى هو أنا أدخن كل هذه الأنواع ، لا بشكل كبير ، بل طوال الوقت ، حتى أننى أستيقظ من النوم لأدخن وأعود للنوم ، وأعترف بأننى نجحت فى التخلص من عادات كثيرة إلا هذه العادة التى أمارسها منذ كنت فى التاسعة ، تصور ..

آه .. بدأ جرس الباب فى العمل . جاء الأوغاد ، وبعد لحظات ستبدأ ملحمة مضع الفول بكل أنواعه مع «عليقة» الخضار : قطيع أرانب يقرض العشب حتى لايبقى فى الحقول نبتة .

– «أيوه . جاى».

أهم ما انتهت إليه وليمة الإفطار يا ضحى خبرية قال بها على الأشول ، هناك معلومات سرية وردت للبلد ، ووزعت فى الخفاء على بعض المتنفذين ، بإمكانية أن يشن صدام حسين هجوماً جديداً سيكون هذه المرة بالمواد الكيماوية انتقاما من

fb/mashro3pdf

الأمريكان ، سيشنه على الكويت طبعا ، لذلك راح هؤلاء يستعدون للخروج (ليس المصريون إذن وحدهم هم من كتبت عليهم الهجرة بل البقاء حتى فى ظل مثل هذا التهديد ، أين يذهبون ، وهناك منهم الكثير فى كل مكان) ملأوا خزانات الوقود بالبنزين استعداداً للرحيل فى أية لحظة ، لكن أستاذا جامعيا قام بمظاهرة فردية فى شارع الصحافة بالشويخ وقال بأن هذه إشاعة من الأمريكان لابتزاز الكويتيين وأخذ ما تبقى لهم من دنانير ، وسأل – أى على الأشول : ماذا نحن فاعلون ؟ فأجابه محمود الجزار : قل لى ماذا نفعل ؟.

وقام على سليمان بمشهد مسرحى أداه واقفا على الكنبة : العدو أمامكم والبحر خلفكم ، فلا مناص من الموت أو الغرق.

كان قد عاودنى الصداع فدخلت غرفتى وتمددت على الفراش ، ففهموا أننى لم أعد أحتمل الصخب . تركونى واحدا وراء الآخر ورحلوا . لكننى لم أستطع النوم ، أخذت أتقلب فى فراشى على غير هدى ، ثم ..

(ف)

لم تمر بقية يوم الجمعة على خير.

أتذكرك الآن يا ولاء وأنت تتحدثين عن صراخ أمك الذى لا ينقطع.

بدأ الخبط و «الرزع» والولولة (فجأة) فى شقة الجيران لصاحبها «أبو سوزى». يبدو أنهم عادوا من إجازتهم التى أراحونى خلالها لمدة شهرين . لديه ثلاث بنات (بلا ولد) وسوزى هذه أكبرهن ، ربما هى فى الخامسة عشرة أو نحوها ، لكنها تبدو أكبر من سنها (لن أصف لك ياولاء قوامها وما فعله خراط الصبايا ومن هذا القبيل ، حتى لا تحسى بالغيرة ، وربما تظنين بى الظنون ، خاصة وأنك تشكين ، منذ رأينا سويا فيلم لوليتا فى شقتى ، بأننى أعشق البنات الصغيرات) لكن باختصار هى جميلة بشكل قاتل (البعض يشبهها بهند رستم،

fb/mashro3pdf

التى تحبينها يا ولاء ودائماً تتحدثين عنها كنموذج كنت تودين أن تكونى عليه ، مع أننى أراك بسمارك أكثر إثارة بالنسبة لى ، هند رستم فى صغرها ، تصورى ، فى الخامسة عشرة) لذا ، فهناك معارك كثيرة تقع ، لا فقط بجوار البناية ، أو على السلالم ساعة عودتها من المدرسة ، ولكن فى منطقة حولى كلها ، بل إننى شهدت مرة معركة ساخنة بالمطاوى ، والجنازير فى السالمية بجوار سوق شرق بين مجموعة من الشبان انقسموا إلى فريقين بسببها ، فريق راجل والآخر من راكبى السيكلات / الموتوسكلات ، حليقى الرؤوس ، يسمون أنفسهم : كوكيز (كما قرأت فى الصحف التى كتبت عن الموضوع فى الصباح التالى لوقوع المعركة - بينما كانت أمها - أثناء المعركة - تحتضنها وأبوها يرفع ذراعيه فاغرا فمه فى حالة يسميها محمود الجزار بلهمية) ، فقد اعترض الكوكيز البنت الناعمة إلى حد قاتل ، لكن الراجلين لم يعجبهم الأمر فقامت المعركة على شرفها .

سوزى ، من ناحيتها ، تحب جارها الولد السورى عمار أبو عيون خضر ، والذى تصفه أمها «بأن دمه ثقيل» وأبوها يعتقد أنه قبضاى (طبعا لصرفها عنه) مما يزيدها تمسكا به ، والبنت تشد شعرها وتصرخ ، ويقال أنها حاولت الانتحار بالحبوب المنومة مرتين .

لكن ..

أجد يا ضحى مشكلة كبيرة هنا لم أظن بوجودها من قبل ، فعمرى لم أكن أتصور أن يصل التعصب بين الجنسيات العربية إلى هذا الحد . تصورى تقدم طبيب مصرى للزواج من فلسطينية (كانا على علاقة غرام لثلاث سنوات وصلت إلى حد أنها كانت تذهب إليه فى شقته كل صباح ، توقظه بوردة حمراء تداعب بها خده ، وقبلة ساخنة فى شفتيه ، وتجهز له الإفطار ، تغسل له ملابسه وتطبخ له قبل أن تذهب للعمل) لكن أهلها رفضوا زواجها منه لأنه مصرى ، وزوجوها من

fb/mashro3pdf

سباك مجارى لأنه فلسطينى ، والمشكلة ليست أنه سباك أو غير ذلك ، لكن المشكلة أنها لم تكن تحب هذا السباك وتحب الطبيب ، وقد حدث نفس الشئ تقريبا بين مصرية وأردنى ، نفس الشئ . نفس الشئ.

المهم أن شكلى لا يسر . أنا فى حاجة للذهاب إلى زكريا الحلاق ، عله يصلح بعض الشئ من حالى المزرية ، ثم سيكون علىّ أن أغطس فى البانيو وأبقى فى ماء دافئ حتى يبلغنى النعاس ، فغدا يوم جديد من العمل الممل .

(ف)

كان المحل هادئاً إلا من موسيقى خفيفة لعبد الوهاب ، فزكريا النحيل رجل صاحب مزاج رائق ، يحب الوحدة ، لذا فهو يبقى فى دكانه حتى ولو لم يكن لديه زبائن (بالمناسبة هو من المصريين المعمرين فى الكويت ، جاء عام ٧٣ ولم يذهب إلى مصر إلا فى إجازات تبعد الواحدة عن الأخرى سنتين أو ثلاث) يعيش وحده تاركا خلفه فى الفيوم زوجة وولدا وأربع بنات أغلبهن فى بيوت أزواجهن ، لم ألاحظ أنه قبطى إلا حين نشرت إحدى المجلات تحقيقا عن المسيحيين فى الكويت، وساعتها قال :

– هل تعرف أن أغلبية المسيحيين فى الكويت هم أقباط ؟

قلت :

– أنا أعرف أن كلمة أقباط تعنى مصريين ؟

قال :

– لا . أقصد أنهم تابعون للكنيسة القبطية المصرية.

قلت :

– هذه معلومة جديدة لم أكن أعرفها .

قال :

fb/mashro3pdf

– هناك الكثير من الأشياء التى لا نعرفها نحن المصريين عن العرب الآخرين .

عند هذا الحد لم أستطع الجدال.

***

قلت وأنا أجلس على المقعد العالى :

– كيف حالك يا زكريا ؟.

قال :

– لا يسر .

– لماذا ؟

قال :

– بدأت أتعب ، أنا الآن رجل كبير ، سأبلغ السبعين بعد أيام.

قلت :

– آه . وماذا ستفعل ؟

قال :

– فكرت فى العودة ، لكننى متردد ، ماذا أفعل هناك ولم يعد لى محل أو ..

قلت :

– أليس لديك مدخرات تبدأ بها مشروعك ؟

قال :

– مدخرات ؟ هأ . زواج البنات أكل كل شئ ، وأمثالى مدخراتهم لا تذكر ، أمامى إيجار المحل ، وتجديد الإقامة ، ومصاريف الأولاد فى مصر.

ثم صمت :

– الناس هناك فى مصر لا يصدقون هذا الكلام ، يعتقدون أن الأرض تضخ على المقيمين فى الكويت أنهاراً من الدنانير.

fb/mashro3pdf

قلت :

– أعرف .

قال :

– هذه أحلام . أحلام حلمناها حين بعنا كل شئ وأتينا . أحلام عصافير .

– لكن الناس هناك لا يصدقون.

قال :

– أعرف ، هل تريد «فتلة»؟

قلت :

– آه ، لكن على مهلك.

بعد أن نظفنى من الشعر الزائد ، بالفتلة ، وجدت أن هيئتى ، فعلاً ، أصبحت أفضل .

كان ضوء المساء الخفيف يوحى بليلة طيبة ، الحر لا يزال فى أوله وبإمكانى أن أنام فى هدوء .

هأ.....

(ف)

فاجأنى سلطان أبو حمزة بالدق على شباكى فى نفس موعده المبكر ، على الرغم من أنه كان قد قال لى مساء الأمس ، لن أحضر طبعا فى الغد ، فهو الذى كان يذكرنى بأيام العطلات (أنا المصاب بغيبوبة الوقت المزمنة) وكنت لم أزل نائماً على وعد الليلة السابقة ، ولم أفتح إلا بعد أن راح يصرخ :

– أنا سلطان ، أنا سلطان.

فتحت الباب فاندفع للداخل معاتبا على تأخرى ، وهو يعيد عويناته الثقيلة بإصبعه الوسطى للوراء (كان يفعل هذا أحيانا دون حاجة ، غالبا بفعل العادة ،

fb/mashro3pdf

أو ربما هى حركة عصبية يؤديها لإثبات الذات ، أو ربما ليذكّر نفسه بأنه لا يزال يرتدى عويناته ، أو ربما خوفا من أن لا يرى) دخل إلى المطبخ وقال إنه سيصنع قهوة عربى ، وسألنى ما إذا كنت سأشاركه ، فوافقت ، من هناك ، من مكانه فى المطبخ (أعترف بأن مطبخى مرتبك ، غير مرتب ، تتراكم فيه الأشياء - الأطباق والأكواب والآنية - فوق بعضها) قال :

- هل تعرف ماذا جرى ؟

- ماذا ؟

- أنا وجدت الخيط الذى سيهدينى .

قلت :

- فعلا ؟

قال :

- آه .

عاد بالقهوة العربى التى يحب أن يغليها فى الدلة النحاس (وكان هو الذى قدمها لى كهدية مع ثلاثة فناجين «بيشة» ، فهو يرفض أن يشرب القهوة التركى ويقول إنها تذكره بالاستعمار العثمانى) ويصر على القهوة العربى ، بهذه الطريقة ، ومن الدلة ، ومن هذه الفناجين ، لذا فهو يترك دلة وفناجين فى كل شقق أصحابه التى يرتادها .

- رجل بدوى كبير التقيته ليلة أمس حين ذهبت للبر مع مبارك العدوانى ، رجل كبير وأصيل وقال إننا ربما نكون أقارب .

- صحيح ؟

- حدثته ونحن فى الخيمة نحتسى القهوة العربى ونمضغ التمر عن شجرة عائلتى - التى للأسف لم أكن أحملها معى ، على الرغم ، كما تعرف ،

fb/mashro3pdf

أننى أحملها معى دوما فى المشاوير المهمة ، لكننى كنت خارجا فى رحلة سمر ، المهم ، قلت له أن نسبى ينتهى إلى القائد العربى شريك بن سمى القطيفى الذى جاء مع عمرو بن العاص ساعة فتحه مصر واختطه حيا من أحياء الفسطاط .

ونظر ناحيتى وهو يمد يده بفنجان ثان من القهوة بالهيل (لأننى لم أكن قد هززت الفنجان علامة الاكتفاء حسب التقاليد العربية التى تعنى أنك حين لا تهز الفنجان أنك تريد فنجانا آخر).

قال :

– هل تعرف ماذا جرى ؟

قلت :

– لا .

قال :

– انتفض الشايب واقفا واتجه إلى . قال :

– نحن أولاد عم ، أولاد عم ، يا خووى.

قلت :

– كيف ؟

قال :

– نحن من نفس الجبيلة .

قال ، قال الرجل الكبير أن جده هو خالد بن عدى الجهنى ، والجهنى هو شقيق القطيفى ، لكنى الجهنى هو الذى بقى فى الجزيرة العربية ، وشقيقه القطيفى هو الذى رحل على رأس نصف الجبيلة إلى مصر ، وبقى الجهنى على رأس النصف الثانى فى الجزيرة ، وكان أن ..

fb/mashro3pdf

نحن إذن من جد واحد ..

وكان يسكن القطيف ، ومن القطيف نحن جئنا إلى هنا ،

أولوا لابن العم ،

واشتعلت النيران أمام المخيم ،

وسمعت صوت الخروف الأوزى وهو يذبح ، ورأيت الدم السائل والجلد الملقى على الرمال حين خرجت من الخيمة،

وراح سلطان يهذى لكننى كنت قد نمت تقريبا ، فلم أسمع بقية ما قال .

(ف)

آخر الليل :

قمت فزعا من الكابوس ، كان حلما هادئاً فى البداية .

بدأ وأنا لازلت أتجول فى شقتى هناك فى القاهرة ، بعد أن جهزّت كل أوراقى للرحيل ، تجولت بين الغرف التى بدا عليها وكأنها ستظل فارغة طوال زمن لا أعرف مداه ، والعفش : الكنبتان الواطئتان فى غرفة الجلوس ، والمقاعد القصيرة المنجدة بالكريتون المقصب الذى حال لونه إلى الترابى ، والوسائد الملونة التى تآكلت حوافها من كثرة استعمال البشر ، وطاولة الطعام فى الصالة ، والسرير النحاسى الذى ورثته عن جدتى ، كل ذلك كان الغبار قد علاه ، على الرغم من أننى لم أكن ، فى الواقع ، وحتى هذه اللحظة ، قد غادرته بعد ، إلا أن رائحة السفر التى كانت هناك ، فوق كل شئ ، قد جعلتنى أحس بانتفاضة الخوف من المجهول الذى ينتظرنى (وهو ما أنا فيه الآن) هذا الخوف الذى بدأ يتزايد وأنا أهبط درجات سلم البيت العتيق محاولا تجنب اصطدام جانب حقيبتى برأس الطفل الخضراء (لا بد أنه كان يرتدى قبعة) الذى كان هو أيضاً نازلا وهو يحمل

fb/mashro3pdf

حقيبته المدرسية تتقدمه أمه التى كانت تحمل رضيعا على ذراعها ، وحقيبة غيارات على كتفها ، وما يبدو أنه بوستيج معلق فى شعرها من الخلف ، وتجاعيد الإرهاق على وجهها ، لقد كانت ذلك كله، لكنها لم تكن ، مثلى ، وبدا أننى أتخطى بصعوبة فائقة الكتل البشرية التى تزاحمت ، من هذه اللحظة ، فى الحلم ، وعند المدخل أيضاً ، ولم أعرف أن عربة تقلنى إلا أننى فى النهاية وجدت نفسى فى أتوبيس مزدحم تتدافع فيه الأجسام وتتساقط الحقائب على الرؤوس المشرئبة ، نعم المشرئبة ، المشرئبة فعلا ، ولم يوفر المنظر أن يكون بين الزحام باعة بيبسى (صناعة محلية له طعم العرقسوس المعطن) وأصوات أخرى ، أصوات من كل نوع وحجم وطبقة ومستوى ، حتى بدا ذلك أقسى من أن أحتمل ، وكنت لا أزال هائما فى بحار الليالى أنتظر المواعيد ، لكن الناس كانوا جالسين على مقاعد حجرية على شاطئ النيل ، كانوا صامتين ، لا يتكلمون ، كنت أنا – والحلم لا يزال – من يتحدث عنهم فى المحكمة التى كان يجلس على منصتها الممثل عادل إمام (وهو فى السبعين من عمره مكشر السحنة) وبجواره من ناحية اليمين إسماعيل يس (فاغرا فمه) ومحمد أنور السادات من ناحية اليسار (يهز رأسه وينفث دخان البايب) ثم أكشن : الرصاصة تصرع السادات فيتصاعد دخان أبيض ، ولكننى لازلت أرتدى روب المحامى وأنا ألوح فى الهواء يائسا بكلمات لا تخرج وتحتبس فى حلقى ، أتهجى بصعوبة اللغة المطلية بالغربة ، المدفونة لمدة نصف قرن فى جرة مليئة بالملح، المشوية على نار الحطب تحت تعريشة البوص ، الكلام واللهجة يا ضحى ، آه ، تلك الأصوات ، بصعوبة ميزت صوتك ، من بين تلك الأصوات..

ظهر اليوم التالى :

فى العادة كنت أتناول غدائى مع الزملاء فى المكتب ، نتصل بأحد المطاعم الشعبية ونطلب بريونى دجاج (مدفون فى أرز) أو بريونى سمك ، أو بيض غنم ،

fb/mashro3pdf

لكننى قررت الذهاب إلى مطعم ، آكل هناك لوحدى ، معجنات ، سمبوسة وفطائر، وأتفرج على وجوه الناس.

من الأفضل طبعا أن أذهب إلى مطعم يعرفنى صاحبه (أصبحت بالفعل معروفا لعدد من أصحاب المطاعم الصغيرة المتناثرة بين المطاعم الشعبية والمقاهى، وبطريقة ما كان أغلبهم من الفرس ، أقصد الإيرانيين ، صحيح أننى لم أكن قد تحدثت طويلا لأى منهم لأنهم لم يكونوا حتى يتحدثون العربية (احتجت مرة إلى من يترجم لى كلام على داو طلب صاحب مطعم الكباب الإيرانى (الذى هو الكفتة) فتقدم لى باكستانى يتحدث الأوردو وقليل من الإنجليزية وبعض الفارسية ووصف نفسه بأنه مترجم معتمد ، وأخذ «ينتع» بكلمة من هنا وكلمة من هناك ، وأخيراً هز رأسه ليقنعنا ، أنا وعلى ، بأنه نجح فى إفهامنا الموضوع ، ولكننى تضايقت لشئ واحد هو أنه أعتقد أننى أريد أن أفهم الموضوع ، ولم يدرك أننى أمر بتجربة تسلية طريفة ، وهذا كل ما فى الأمر .

وأحسست ، وأنا آكل الكباب الإيرانى ، بخبط كلمات فى رأسى :

أنت مزنوق .

تعيش خلف قناعتك .

أنت لا تستطيع أن تقول هو .

لا تستطيع أن تبتعد مسافة عن نفسك.

بعيدا عن قناعك.

ما الذى جعلك تلبس اسما آخر ؟

لم لا تستطيع أن تعلن عن نفسك.

عن عملك .

* * *

fb/mashro3pdf

بعد الظهر :

- «الرواتب نزلت».

هكذا قال سلمان رشدى بعربيته المكسرة ، وهو يستقبلنى على السلم ، وأنا عائد من وجبة الكباب / الكفتة التى لازالت فى حلقومى ، الحموضة على الفور ، ولا يمكننى فعل شئ تجاه هذه الحموضة التى تعتصرنى على الفور ، بمجرد وصول هذه اللحظة من أول كل شهر.

سيكون علىّ أن أمشى إلى مبنى البنك المجاور ، يا ولاء ، وسيكون علىّ أن أسحب جزءا من الراتب بالكارت من البنك الآلى وأعود كسيحا ، سيكون علىّ أن أدفع لسلمان رشدى ما بين ٢٠ إلى ٣٥ ديناراً قيمة طلبات القهوة من البوفيه - تصورى ، وهو لا بوفيه ولا يحزنون ، مجرد عدة شاى وقهوة قديمة اشتراها من سوق الحراج (الذى يقام كل يوم جمعة) حيث أكوام المعدات القديمة (حقائب - أسرة - موكيت - ستائر - أحذية - بوتاجازات - ثلاجات - مراتب - مكاتب - ماكينات حلاقة - مكانس - أجهزة تكييف - أوانى مطبخ - بخور - أركان إسفنجية ديوانيات للجلوس - طاولات - سفرة - دلايات - مباخر - أكواب - ملاعق - صناديق خشبية ، وكل ما يلزم بربع الثمن أو أقل ، وأنت وشطارتك مع البائع الهندى أو البائع البدوى الذى يبيع مشغولات السدو من المساند والأكلمة والمعلقات التى يقبل عليها الأجانب خاصة الأمريكان والإنجليز).

أظن أنك يا ولاء ستحبين الذهاب إلى هذا السوق لتمارسى هوايتك فى الفصال ، لكننى أشك فى أنك ستصلين إلى حل ، بل ستعودين وأنت غاية فى الغضب.

تصورى ماذا وجدت هناك فى زيارتى الأخيرة حين ذهبت لشراء أنبوبة بوتاجاز إضافية ؟

fb/mashro3pdf

وجدت إطارا مذهبا ، داخله ، خلف الزجاج ، ورقة قديمة كتب عليها كلام اشتريته بربع دينار :

بعد الكابوس.

إذن فلأكن قويا ،

ومدججا بالسلاح.،

أحمى هامتى من

بعيد .

حتى أتجنب مخالب

الحيوان المفترس.

* * *

يا قطتى الصغيرة المتوحشة ،

ما الذى رماك فى طريقى ؟

لم لم تغضى الطرف عنى ،

وتمضى فى حال سبيلك ؟

* * *

ها أنت تقعين فريسة العدة.

والعتاد .

فكلنا يتوقع الذئب أو اللبؤة أو الضبع.

قابعا فى الطريق،

أو على غصن شجرة.

فنحن فى غابة مظلمة.

إننى أحتفظ لك بهذا الكلام فى إطاره الذهبى لأهديه لك بمجرد عودتى.

fb/mashro3pdf

(ف)

إنها السادسة بالضبط (مساء طبعا) إننى أطل من نافذتى على الميدان المترب، وفى يدى كوب الشاى ولازال النوم فى صدرى ، أقصد فى نفسى، (لابد أن ضحى ستسألنى هل عندكم تراب فى الكويت؟) ورأيت امرأة تلبس الثوب الكويتى الشبيه بالثوب العراقى، الشبيه بالثوب الإيرانى، تقف بجوار سيارة وهى ترفع أعلى الثوب على رأسها ، يبدو وجهها أبيض اللون، وجه عراقى الأصل، لا أظن أنها إيرانية من شيراز ، لكنها الآن كويتية الجنسية، تبدو عليها الحيرة ، آه، لقد تبينت الأمر إنها صاحبة البناية المجاورة، فهذا هو الحارس البواب، يسلمها رزمة الدنانير، إنها تصرخ فى وجهه عن المتأخرات ، طبعا ليس كل الكلام واضحا بالنسبة لى ، لكن الغضب واضح، الشتيمة واضحة جدا، وكانت هناك فتاة تنتظرها فى السيارة اللاند كروز البيضاء، لم أتبين حقيقة ملامحها ، لكنها كانت تطل من النافذة ثم تعود وتختبىء.

آه .تذكرت : غدا الجمعة سنطلع إلى البر، عزمنا أبو محمود أنا وزملاء العمل، على طلعة إلى البر ، إلى مخيم فى الصحراء (نحن لازلنا فى الربيع حيث بالإمكان احتمال الطقس) وحيث لاتزال الصحراء مغطاة بخضرة باهتة تتناثر الزهور الصفراء فوقها كأن السماء رشتها بنفحات من مسحوق الكركم.

(ف)

استيقظت على رنين التليفون، كانت رانيا سكرتيرة أبو محمود هى التى أيقظتنى، وكانت الساعة الخامسة والنصف، قالت:

– «شو خيو ، بعدك نايم ، قوم أولوه، بدك تكون ع الباب الساعة ستى، بخاطرك» .

fb/mashro3pdf

كأنه الوعد أو الوعيد ، الساعة الخامسة وخمس دقائق ، رطوبة الصالة خانقة، لابد أن أجد طريقه لإحكام الباب ، فهذه الرطوبة اللعينة تتسرب حتى من تحته . لست فى حاجة لأكثر من حلاقة ذقنى، وكوب ساخن من الحلبة باللبن، لكن صوت كلاكس الفان جعلنى أغلق البوتاجاز قبل أن تغلى الحلبة. أحكمت شد الحزام فى وسطى، أمسكت بحقيبة يدى الصغيرة وتأكدت من أن بها بطاقتى المدنية، وحافظة نقودى، بضعة مناديل ورقية، ومفاتيحى ، وأغلقت الباب.

كانت رانيا جالسة فى المقعد المجاور لباب الفان تشير بيدها وتبتسم ، كانت تعرف أن الكسالى من أمثالى يحتاجون إلى قليل من التشجيع للاستيقاظ قبل موعدهم، وكانت هناك وجوه لا أعرف على وجه التأكيد أصحابها، وقد فاجأنى . عدد النسوة فى الفان ، كنت أظن أن الطلوع للبر سيقتصر على الرجال ، ها هى فاطمة الهندية المسلمة ، السكرتيرة الأخرى، أم شعر طويل طويل ، وبستان الباكستانية، تجلسان جنبا إلى جنب ، وسلوى المصرية التى تعرف نفسها بأنها مسئولة العلاقات العامة فى الوكالة، الحرباء التى تتولى الإيقاع بزبائن حملات الإعلان، من يقع بين يديها يا ضحى لن يفلت منها ولا بالصابونة، هى بلا صوت تقريبا، ليس لها صوت مرتفع كعادة البنت المصرية المعجبة بصوتها، وصوت أم كلثوم ، أستطيع أن أستعير تشبيهك الذى لا أنساه وأنت تصفين أختك الصغيرة وهى تتكلم : إنها توشوش نفسها ، هكذا هى سلوى توشوش نفسها ، لكن لا أحد يقع فى شباكها ويفلت . حذار.

والفان فى شارع الجهراء ينهب الطريق المؤدى إلى البر أحسست بنوع من الأخوة ، لا بد أن الدنانير هي التى تجعلنا نحس بالدفء ، هذه حقيقة، ما الذى يجعل الغرباء يحسون بالألفة سوى غطاء من البنكنوت؟

fb/mashro3pdf

كان أبو محمود ينتظرنا أمام باب الخيمة فى صحبته شاب يحمل عودا فى يده، وكان صف من سيارات المرسيدس والشيفورلية يمتد حتى ما وراء الخيمة الكبيرة.

بدأ أبو محمود أكثر مرحا مما كنا نراه عليه فى الوكالة ، بعد أن جلسنا علي المساند أرضا ، طلب منا أن نستمع لأحمد وهو يعجب من أنه كيف لهذا الشاب السورى الذى يعمل مزين نساء أن يتقن العزف والغناء على هذا النحو ، تنحنح أحمد وأمسك بالعود وراح يغنى :

«غريب الدار
عليّا جار
زمان القاسى
وظلمنى
مشيت سواح
مسا وصباح
أودع
اللى راحى منى»

ما أن كف أحمد عن الغناء حتى كان الوجوم يخيم على الجميع ، بدأ أبو محمود متفاعلا مع غربتنا، الأمر الذى بدا بالنسبة لى غريبا، لكن من يعرف ، ربما عانى هو نفسه من الغربة، ربما، أيام غزوة صدام حسين شرد فى مكان ما من العالم ، طبعا من يعرف

* * *

لكن وجه رانيا هو الذى بدا مختلفا ، بدت أكثر حشمة ، أكثر أمومة ، وجه آخر للفتاة اللبنانية التى تروج لها قنوات التليفزيون (عارية إلا من قليل من القماش) فبمجرد أن نزلنا من الفان أخذت الأمور فى يدها، قدرة فائقة على

fb/mashro3pdf

الترتيب، لا فقط ترتيب الأشياء ، بل البشر أيضا ، وما أن انتهى النهار حتي عرفت أن هذه البنت «السفروتة» ، قليلة الحجم ، كانت تحمل الآربى جى وتقاتل فى أحراج الجنوب حتى أصيبت فى جانبها الأيمن، وكان هذا هو سر ما كانت عليه من أعوجاج تحاول إخفاءه، لكنه كان يتغلب عليها ويظهر على هيئة تعب، وكنت أظن ، أنا نفسى ، أنه نوع من شغل البنات بادعاء الأنوثة.

كانت الريح قد بدأت فى شد حبال الخيمة الكبيرة التى كنا نجلس تحتها على مساند متجاوة على هيئة مستطيل من ثلاثة أضلاع ، ضلعه الرابع يشكل باب الخروج، وكان أبو محمود قد ظهر على هيئة بدوى يلهج بعبارات يوجهها للخدم الهنود فى تلك اللغة الخليط التى كانت مفهومة لهم بشكل واضح، ، وتحتاج منك لعدة سنوات لإتقانها، وهم يرفعون الصوانى المملوءة بالكبسة ، أو أوانى الخضار، ويعملون فى صمت لكن بابتسامة ، لاتخلو من خبث، على هذا الأعرابى الذى كان يعود فى هذه اللحظات إلى تلك الصورة القديمة للبدوى المضياف، تلك التى تحاول الحياة العصرية المفروضة بالموكيت إخفاءها ، وكان أبو محمود مستمتعا بهذا الدور، لكن المفاجأة أنه سألنى بعد أن انتهينا من الطعام، وبدأنا فى تدخين الشيشة ما إذا كان من الممكن أن يظهر عبدالناصر مرة أخرى فى مصر؟

لم أعرف حقيقة بم أجيب ، تلعثمت فقال:

- أنا أعرف . لا . الميت لايعود.

وقالت رانيا بصوت مبحوح من الطرف القصى من الخيمة:

- نحن كلنا أموات يا أبا محمود.

ازداد شد الريح لجوانب الخيمة فخرجنا جميعا نحتمى بالفان، والسيارات الأخرى المرصوصة فى الصحراء على امتداد البصر، قبل أن تعصف بنا بشائر الخريف ، ورحلنا ، تطلعت من النافذة : الصحراء هى أنا أيضا ، أقصد ، يا للفلتى، أننى ابن الصحراء التى أحاطت بالوادى فخنقته.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(باب)
فى
ثياب الرسام

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

،ورأيت نفسك
كما لو كنت ترتدي
ثياب رسام شعبي
يرفع الفرشاة عاليا
ويصور الخروج الكبير
علي جدران البيوت،

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

كم ساعة مرت وأنا غارق .. نعم غارق ، فكل المشهد يا ضحى جرى فى الموانىء، لا ، ليس كله ، بعضه جرى فى البحر ، البعض الآخر على الطرق السريعة ، فى المطارات ، تحت ، أقصد فوق . لا . داخل . وكان الحر شديدا والعرق يجرى فى الأخدود ثم ترتفع به الأمواج وتقذف المراكب إلى الشواطىء إلى الرمال الغرقى (آلاف المهاجرين) والأيدى تتشبث بالغصون الطالعة من الصخر الذى ينتفخ ويرسل الحمم (ملايين الكتل) إلى الأعلى حيث ترى الوجوه المذعورة بين النار والأيدى (المهاجرين) تتدافع عند مداخل البوابات: ترك . تراك . تاك تنكسر ذراع الصبية . ينفجر الوجه بالموت: يا دهوتى ، ياهار احوس ، يا نهار موش فايت. دا جحيم دا يوم الحشر يوم القيامة احفظنا يا حفيظ ، وتتصاعد العواطف، تفرش نفسها كالمرآة على البهو المكتظ بالأجساد الغليظة للنساء تتحرك عجيزاتهن هن هن بالمنفلة التى تدور فتتحرك السيور بدورها محملة بالزاد : صفائح المش وصفائح الفول الناشف وصفائح الفسيخ أيضا والملوخية الناشفة والثوم ولفافات البط والإوز المقدد والأرانب المقددة أيضا ولفافات الفطير المشلتت والعسل الأسود والعسل الأبيض والجبن القريش وبرطمانات السمن البلدى والزبد والقشدة وأكياس القماش القطن مملوءة بالشعرية وأكياس الكتان مملوءة بالحلبة الناشفة والعدس الأصفر والعدس أبو جبة وأكياس البلاستيك مملوءة بالكركديه و(آلاف) العرقسوس والتمر هندى والشيح وقشر الرمان والشطة والكمون والكزبرة والفلفل الأسود وعلب الأدوية : ريفو للصداع وقطرة البريزولين للأنف والعين ومرهم هيموران للبواسير والفحم للغازات والبلاسيد لتقلصات القولون والانتفاخ نفس انتفاخ إخناتون يبرز الكرش قليلا للأمام فى بعجرة تلوى تناسق القوام نعم وكل الناس لهم كروش فلم لا يكون لى أنا أيضا كرشى، كما فى جسد الفرعون الحكيم الذى كان يرتدى على جسده إزارا خفيفا يلف به وسطه لا كما

fb/mashro3pdf

نرى هنا فى قاعات المطارات أو هناك على أرصفة الموانىء أو محطات الأتوبيس هذا الخليط من الجلاليب الصوف والجلاليب الدمور والعباءات والبدل الكاملة والبنطلونات الجينز المحزقة خصوصا على أجساد البنات: بنت المستشار السنيورة وبنت الطبيب والمدرسة الشابة التي ستخلعه بمجرد أن تنزل وترتدى العباءة التى فضل بعضهن ارتداءها من الوطن ولففن حول وجوههن المكتزة الحجاب أو الطرحة أو الإيشارب أو النقاب أيضا فلا ترى سوى العينين المحدقتين وتخال أن هناك جمالا خفيا غامضا لكنك تصطدم بزوجها الشاب الذى يزن نصف طن وهو يرتدى الجلباب الأبيض القصير ويعقص فوق رأسه عمامة لها ذنب من الخلف وهو يرمقك متشككا بينما تطالع أنت بميكانيكية الخوف كندرته أفغانية الشكل آه ويا للتعب وتتمدد الأجساد على المقاعد البلاستيكية غير المريحة ويا للتعب (الآلاف) وتنتظر وأنت تقلب الصحيفة ويا للتعب إن كان هناك مكان لك تحت شمس السعودية أو الكويت أو أمريكا أو حتى بلاد واق الواق هو أنت ذاهب إلى عمق الليل لا إلى نهايته ربما هناك تمشى وأنت تحمل على كفك سراجا مطفأ ملفوفا فى جلد غزال مدبوغ تطلع خلف الجمل وهو يسير فى اتجاه نبع الماء لكنك تجد نفسك وأنت فى اتجاه المقهى الشعبى القديم المسقوف بالسقالات حيث تتدلى المشكاوات النحاسية وتأتيك من الخلف روائح العطارة النفاذة ثم تذهب لتأكل الفالوذج الذى قرأت عنه فى الكتب ولم تره حتى عزمك عليه زميلك الكويتى من أصل إيرانى ماجد سلطان الذى تحدث مع صاحب محل الحلوى الإيرانى بالفارسية واعترف لك بأنه يتحدث مع جدته بالفارسية أيضا فى البيت وأن هذا الفالوذج ما هو إلا حلوى مثلجة (آيس كريم تقريبا) مضافا إليها مواد مجلوبة من إيران وأن أصله إيرانى وهو هناك حلوى شعبية وأنت ظننت طوال عمرك أنه طعام من أطعمة الملوك لكثرة ما أشادت به كتب التراث التى شحذتها المخيلة بما تثيره

fb/mashro3pdf

أجواء الممالك من الأساطير التى يحلم بها الفقراء ويحكون بها فى لياليهم مما يشكل تراجيديا عبثية . لا . تراجيديا رهيبة لا. تراجيكوميدى ، لكنك لن ترى الناس على حقيقتهم إلا ساعة الخروج مشردين تقصف السماء على رؤوسهم كرات النار وتغرق أجسامهم فى دوامات الدنيا (الآلاف) وقلت لو أنك كنت رساما شعبيا من أولئك الذين يرسمون قصص الحجيج على جدران البيوت، لكنت رفعت الفرشاة عاليا، وصورت قصص الخروج ، قصة بعد قصة، قصة في قصة، فوق الأخرى ، لأن الصورة هى هكذا: حيث تبدأ المشاهد بقطيع من الذئاب يهاجم البيت فى الليل وهى ذئاب جائعة شرسة مزقت أولا أحشاء المواشى والخراف ثم اندارت على الناس الذين خرجوا فى خوف بملابس النوم كما فى الزلزال وأنت نفسك خرجت فى بيجامتك وتسميها رحلة الخروج الكبير من كل الموانىء والمطارات والمعابر ولو أنك أردت لرأيت الرؤوس المشرئبة والرقاب المعلقة على الصوارى والأيدى المرفوعة المتشنجة الممتدة لأعلى تهتز وكأنها طالعة من مرجل ضخم يغلى فيشعل السماء بينما أنقاض الجدران تسقط فوق الرؤوس فتنفجر الجماجم وتتمزق السيقان وتتطاير الأيدى المقطعة بينما الشوق يأخذك كمجنون تهذى نعم لا بأس هناك أراه خلف الحائط داخل الجدران المهدودة التى تنفجر عن سلسلة ضخمة تنزل من الأعلى لتمسك برقبتك فتقف فزعا وكان الحلم قد أخذك إلى أماكن خطرة وجدت نفسك محشورا فيها بين الأثقال حتى اختنقت وكدت تنتهى لكن ربما هى الرغبة فى الحياة هذا الشىء الغريزى الذى لابد لك فيه هى التى جعلتك تنتفض وتقفز مستيقظا فتجد نفسك بالفعل غرقان خائفا يداك ترتعشان ونفسك مقطوع بعد لهاث طال فى المفارز لكن المشكلة أن ضحى تنتظر رسالتك دون خوف وبكل براءة لكنك لم تكن ترى المشكلة فى أن ذلك قد حدث لكن تكراره هو الذى دفعك لأن تفقد ذاكرتك تقريبا كمن ضرب على يافوخه فى الوقت

fb/mashro3pdf

الذى أحاطت بك الريح المحملة بالأتربة ويسمونها هنا الطوز ويسمونها هناك الخماسين وهى على أى حال محملة بالمرارة وتعود إلى رقائق عرب البادية فتجد أنهم ومنذ فجر الخليفة عرفوا أن الشهور القمرية لاتتواءم مع فصول السنة فعمدوا إلى ابتداع طريقة يعرفون بها الفصول والمواسم وأسموها السنة السهلية وقد اختاروا سهيلا لأن ظهوره بداية للانفتاح الفصلى فسكان الصحراء الجافة تهب عليهم فى الصيف ريح السموم وطلوع سهيل عندهم يعنى الكثير حيث يفيء الظل بعد أن كان منعدما خلال الصيف، ويبدأ طول الليل، وقصر النهار، فيبرد آخر الليل، وتهب ريح الجنوب الرطبة، فتخف من لهيب الهواء الساخن اللافح، وتميل الشمس نحو الجنوب، بعد أن كانت عمودية فى فصل الصيف، حيث يبدأ موسم الرطب الجديد، وينتهي موسم ادخار التمر ، وتبدأ الأغنام فى الإحساس بالراحة فتدر اللبن، لكنك مهما توهت مع محاولة الإنسان للتحكم فى الطبيعة، ستجد أن هذه الطبيعة نفسها، هى التى ألقت بملايين البشر فى المعابر وهم يرتعشون من الخوف من المجهول تأخذهم اللهفة للوصول إلى حل للمأزق الذى وجدوا أنفسهم فيه لا بفعل الطبيعة بل بفعل البشر القساة الذين شكلوا تنظيما سريا. لا . علنياً لسرقة حياتهم، وكتابة تاريخ جديد، هو تاريخ الهجرة، حيث يتدفق مئات الألوف إلى أى مكان وهى حقيقة جديدة لم تكن من قبل كما هو الحال مع اللبنانيين الذين هم شعب مهاجر وهى حقيقة جديدة لأن أجدادنا لم يعيشوها وهى حقيقة مرة لها طعم العلقم لأننا ولأول مرة منذ آلاف السنين تركنا خلفنا أرضنا ونساءنا وأطفالنا تنهبهم الذئاب وتعبث فى ثمارهم الثعالب الصغيرة المفسدة الكروم وقد يكون هذا هو الشعور نفسه الذى دفع البدوى العجوز للصراخ طوال الوقت وهو يحاول الفكاك من أفراد أسرته ويقول اتركونى أعود للصحراء أنا البازى أريد أن أحتضن العراء بكل روحى لكنهم اعتقدوا أن الرجل

fb/mashro3pdf

قد جن فأودعوه مستشفى الأمراض النفسية لكن الطبيب رفض بقاءه وأعتقد بأن الرجل يقول كلاما حكيما وأنه مل من النظر إلى التليفزيون ورؤية البنات اللواتى يرقصن ليل نهار وكأن مهمة البنات فى الحياة هى هذه الطريقة السخيفة فى هز الخلفية وهو هز يفتقد حتى الروح عكس ما كانت عليه الراقصة سامية جمال مثلا لكن البدوى خلص أهله من المشاكل على أية حال ومات وقد حزنت عليه أنا فعلا وقلت أن هؤلاء الأبناء والأحفاد لايستحقون مثل هذا الرجل الذى تمنيت أن أكون فى مثل شجاعته لأهتف مثله برغبتى الحقيقية التى تشبه فى وجه منها تلك التى طالب بها ومات فى سبيلها لأنه من المفترض لى أن أفعل شيئا . أى شىء . لا من باب البطولة فقط، ولا لأن هذا ضرورى ، أو غير ضرورى ، بل من أجل أنك تريد أن تهرش فى يدك فتهرش فيها لأن البطولة قد تعنى لى الآن مجرد الطعام والشراب وبعض الجنس لو أمكن أو التسلية التى تزجى بها الوقت ثم لاشيء آخر فإذا كانت هذه هى كذلك بالنسبة لى وربما مغامرة صغيرة مع بنت سمراء ساخنة لطيفة مثل ضحى التى تحبك هى أيضا وتعطيك نفسها وتبربش بعينيها وتترك يدها الضعيفة المبللة الرطبة فى يدك ولا أكثر من ذلك مادمت لم تنهب شعوباً أو تعبث بمصائر أمم فماذا فى هذا إذا كانت المسألة هى أنك تريد أن تأكل دجاجة فتذهب وتأتى بالدجاجة وتأكلها أو أنك لاتريد أن تأكل فلا تأكل بل تشرب الشاى بالنعناع استكانة بعد أخرى ولاشىء آخر ولا تأكل، لاتشعر بأنك تريد أن تأكل، فهل من الضرورى إذن أن تفعل هذا الشىء وأنت لاتريد أن تفعله، بل إنك فعلا أكسل من أن تفعله، فهل من الضرورى أن تقوم بشىء خارج . مدو يلفت النظر . يجعل الجماهير المحتشدة تصرخ : ياياياياه .. تهيج : وووووه .. جووووون . فماذا لو كان فعل البطولة الوحيد الذى تريد أن تقوم به علاوة على الأكل والتبرز والعمل البسيط الذى يأتيك بما يكفيك لتأكل وتتبرز وتنام هو أن تجلس مع نفسك

fb/mashro3pdf

فى هدوء وتكتب رسائل بالقلم الحبر للذين تريد أن تكتب لهم حتى ولو لم ترسلها فماذا فى هذا لو أنك رحت تكتب لهم وتكتب دون أن ترسل أيا منها فلا بد أنك تعتقد أن هذا غير صحيح، لكننى أعتقد أنه صحيح، فأنت تعتقد، وأنا أعتقد، ولكن أيا منا لم يضر أحدا ولم يشرد شعبا أو يهدم بيوتا فوق رؤوس سكانها الغلابة كما يحدث فى غزة ونابلس ورام الله ثم أننى وبالعودة إلى معنى البطولة أرى أن المرأة التى جرستها الصحف لأنها فعلت أمورا رأت الصحف بأنها لاتليق بامرأة ومنها أنها ادعت أنها أم أسير من أسرى صدام حسين الذين ذهبوا ولم يعودوا ولا يبدو أنهم سيعودون وهى فى الحقيقة مجرد أرملة وحيدة لديها ستة أبناء وليس لها عائل وهى لها برنامج يومى وصفته صحيفة الوطن العربى بكل تفاصيله وقالت إنها تبدأ يومها بالمرور على شارع الصحافة لتحصل على نسخ مجانية من كل الصحف ثم تعود وتبيعها للبقال الإيرانى المجاور لبيتها ثم تذهب لسوق الشبرة لتشترى أرخص الخضار واللحوم وفى طريق عودتها إلى البيت تمر على الجمعيات الخيرية لتتسمع الأخبار وتضع اسمها فى كل قوائم الهبات والحسنات الممكنة ثم تعود لترعى صغارها الذين تركتهم مع خادمة سيرلانكية وجدت فى بيتها مأوى لها فى فترة ترانزيت ما بين عمل وآخر فهى تأويها بالمجان مقابل أن تخدمها هى أيضا بالمجان فى هذه الفترة ثم تعود فى رحلة العصارى للشارع لتتقدم للمسابقات التى تجريها الصحف والمجلات باسمها وأسماء أبنائها ثم تذهب مساء لجولة يومية على الجلسات النسائية وتظهر فى مظاهر مختلفة مرة على هيئة خاطبة تعمل على لم الرؤوس فى الحلال ومرة على هيئة وسيط ما بين امرأة يعذبها زوجها بمغامراته النسائية وبين شيخة تعمل على تليين قلوب الرجال وإعادتهم إلى نسائهم صاغرين باستدعاء الجان وكتابة الاحجبة ، حتى وقعت الفأس فى الرأس وانكشفت لإحدى النسوة المتنفذات فأمسكت بخناقها وبهدلتها

fb/mashro3pdf

بل مزقت ملابسها وأبلغت عنها البوليس باعتبارها مشعوذة ولم ينقذها سوى الكاتب الصحفى سليمان الفهد الذى أخرجها بضمانه مما سبب له متاعب كبيرة مع قطاع عريض من المجتمع الذى لم يرض عن أفعال هذه المرأة التى زعموا أنها أفعال خسيسة وأنا اعتبرتها من قبيل البطولات التى تستحق الذكر بل إننى تمنيت أن أتعرف عليها لكن صحيفة الوطن العربى التى تابعت الموضوع بإصرار قالت إن محررتها ذهبت للبحث عن المرأة فوجدتها قد حملت صغارها واختفت وقد رأيتها أنا فعلا فى أحد أحلامى تحمل زادها على رأسها وتجرجر أطفالها خلفها وتعود للصحراء إلى حيث أراد ذلك البدوى الذهاب ليلتقى بروحه التى أردت أن أرسمها على جدار البيت بفرشاة الرسام الشعبى العتيد الهاوى الذى لا يتقن عمله ، لكننى استيقظت على أصوات آلاف الأطفال والعقبان النسور الصقور تطاردهم ، فيسقط بعضهم خارج اللوحة فى ماء الخليج من ناحية اليمين والبعض الآخر يهوى فى جوف الرمال التى تبتلع الرؤوس وتلفظ الأقدام والأيدى فتأخذنى الحماسة وأغمس الفرشاة فى إناء اللون الكبير وأرفعها عاليا لأنثر الألوان على السطح الخشن فإذا بالرعد يبرق وتنفجر السماء باللهب وتأتى الطيور لتسد عين الشمس الشمالية لكن العين الأخرى تساقط حبات اللؤلؤ التى تشخلل برنين متفاوت الأصوات هو خليط من أبواق البواخر وسارينات الأتوبيسات وهدير الطائرات التى للأسف أكتشف لأول مرة فى هذا الحلم بأن ليس لها أبواق أو كلكسات الأمر الذى يجعلها تتصادم فى الهواء لتبدأ فرق الإنقاذ وهى تجرجر الكلاب المدربة فى البحث عن بقايا الأشلاء الممزقة فلا تجد فى الصورة سوى الممثل العالمى «توم هانكس» فى فيلم «كاست أويى» وحيدا فى الجزيرة القاحلة وهو يتلهف لخلاص روحه ويبدأ فى اكتشاف النار من جديد . يكتشف النار من جديد على الرغم من أنه مثل هذا الفيلم فى نهاية القرن العشرين ، وماذا فى هذا

fb/mashro3pdf

فأنا أحلم بأن أكون رساما شعبيا فقيرا من رسامى قصص الحج على البيوت الريفية يحصل على أجره على هيئة حفنة من القمح أو حفنة من التمر أو بضع بيضات مثل توم هانكس الذى مع مرور الوقت وهو وحيد فى الجزيرة المهجورة يرسم أيضا على جدران الكهف خيالات يأنس لها بل إنه يتحدث إليها حتى تقع عيناه على كرة وجدها بين الأنقاض فيرسم لها عينين وشفتين وحاجبين وأذنين وفم وأنف ويسميها ويلسون ويحملها معه على عبّارة على هيئة مركب صنعها من جذوع أشجار الجزيرة يعوم عليها ليعبر المحيط إلى الجانب الآخر ، إلى نهاية الزمان ، إلى الحبيبة التى تنتظره هناك، لكن ويلسون ، الذى على هيئة كرة ، ينزلق من بين يديه إلى عرض المحيط ، تأخذه الأمواج بعيدا فينادى عليه : تعال ، أنقذنى ، لم ابتعدت عنى ، لم تتخل عنى وأنا فى غياهب الموج ، لم تتركنى وحيدا وأنا أحتاجك ، لكن ويلسون يبتعد ، يغيب ، حتى أننى أستيقظ من الحلم ، لا لأبقى هناك ، بل لأدخل فى آخر أجرجر قدمى وأنا أشعث أغبر أمشى فى الطرقات حتى ألتقى رضوان الساعى البطل اللابطل لرواية «عطلة رضوان» ، الرواية الوحيدة التى استطعت إتمام قراءتها فى حياتى كلها، بعد كتاب «قصة الحضارة» وظل بعدها رضوان يطاردنى ولربما كان هو سبب تفكيرى فى الخروج ، فى الهجرة ، لا إلى أى بلد بل إلى بلد محدد ، إلى نيبال ، وهو ما جعلنى آتى إلى هنا لأجمع المال لأذهب إلى هناك حيث يمكنك أن تعيش فى غابة لا تستمع فيها إلا لأصوات الطيور ، وهو ما لم أتحدث به لأحد ، لا لضحى أو ولاء ، لا لعادل أو باترتسيا ، لا أحد على الإطلاق ، فهو سرى الدفين الذى ربما وصلت معه إلى نهاية الليل ، إلى الغسق ، إلى نقطة صغيرة من الضوء الخفيف فى ظل غابة على قمة جبل حيث الأصوات أغنية خفيفة تتواصل على إيقاع الأغصان وهفهفة الأجنحة ، بينما الجنيات الصغيرات الناعمات المتسربلات بالخضرة

fb/mashro3pdf

يرقصن متشابكات الأيدى حول الأشجار فى ضوء القمر . يعشن فى الزهور ويأكلن العسل ، هربان ؟ وماذا فى هذا ، لكن هارب ممن ، ز ، لم تستطع استكمال المشوار مع ولاء ، ز ، ولا باترتسيا ، ز ، ولا ضحى ، ز ، التى ضحت من أجلك ، أحببتك ، وأرادتك ، ز، وغامرت معك بالسفر عبر القطار إلى الإسكندرية حيث البحر ، ز ، نزلت معك فى شقة صديقك ، وسبحت أمامك بالمايوه البكينى ، ز ، وكانت فرحانة وهى تقول أحس وكأننى مى زيادة ، ولماذا مى زيادة ؟ لا أعرف ، هى أنا هكذا أحس الآن ، ز ، ولكنه من ناحية المبدأ لم يكن أمامى سوى الهرب ، ز ، فيكف لى أن أتحمل المسئولية وليس لدى زاد أو زواد ، على أى حال أعترف لك يا ضحى بشىء مهم جدا خطر ببالى أن أحدثك عنه الآن ، لا أعرف لم ، هو أننى قد أكون الرجل الوحيد فى هذا العالم الذى يحمل معه دائما فى حقيبته مرآة صغيرة لا تفارقه ، ز ، لزوم رؤية الوجه ، ز ، دون أن تكون لديه ميول أنثوية (يمكنك أن تقطعى بذلك بعد التجربة) لا طبعا ، لايصح أن أكتب هذه الجملة ، ز ، إنها قاسية جدا ، ز ، قاسية إلى حد لا يطاق ، فأنت لست متهما على أية حال ، ز ، لست متهما لا بهذا أو بذاك ، ز ، وكانت عندك لحظات فرح أيضا ، ز ، مثل تلك اللحظة التى انتابتك بمجرد استيقاظك من النوم وأنت تحس بأنك مواطن أمريكى يتمرغ فى النعيم ، ز ، كما تلك اللحظة التى أحسست فيها بأنك على قمة جبل فى نيبال ، لكن هذا لا يساوى أبدا هذه اللحظة وأنت تكتشف الآن ، ورطوبة الراحة فى صدرك ، بأنك ، ز، ويا للمفاجأة ، ز ، لم ترتكب أية جريمة ، لم تقتل ذلك الرجل ولا تلك المرأة ، لم تخنق الفتاة التى كانت تتمخطر فى سوبر ماركت سلطان نصف عارية غير مبالية بأننا فى الجزيرة العربية مع أنك دائما تنفى عن نفسك بأنك ذكر شرقى يرعى النساء فى قاعة الحريم وهن جالسات أو واقفات راقصات أو يتثاءبن يرفعن الأقدام والسيقان

fb/mashro3pdf

ويضربن على الدفوف ويهزجن بالصناجات أو ينثرن البخور ويمددن اليد بكأس الشراب ، ولكن مهمتك الأولى أن تحوط على كل أنثى ممكنة وتراقب كل ذكر يقترب منها (عامل) تنظيم سرى خاص ، لوحدك ، تتصل بالنساء ، بالرجال ، تحذر هذه ، تنذر ذاك ، وأنت أصلع وتقول أن الصلع علامة الرجولة ، فلتحتفل إذن ببراءتك ، صحيح أن هناك تقصيرا من ناحيتك تجاه عدة أمور قد يكون أهمها أنك لم تكمل أيا من الرسائل التى تجرأت وكتبت بداياتها ، أو تلك التى رحت تهذى بها بينك وبين نفسك ، تقولها بصوت هامس داخلك ، حيرتك لأنك وجدت الأمر صعبا التعبير عنه ، حتى أنك استعنت بالقاموس فوجدت أن أهل الاختصاص يسمون هذا مونولوجا وأن هذا المونولوج ما هو إلا استبطان يهذى فيه المرء بلواعج النفس وهو ليس حلم يقظة كما كنت تظن لأن هذا شىء لا يخرج عن النفس ويبقى عالقا فيها فلا تترتب عليه أية مسئولية من أى نوع وقد يكون مجرد تعب يحتاج تشخيصا فماذا سيقول الأطباء يا ترى عن حالتى ؟ ماذا سيقول الدكاترة والعلماء ، ماذا سيقول الخبراء ومن فى أيديهم أن يقرروا أمرى ، ويحكموا أسرى ، ويجعلوننى بالكاد أبين ، ماذا سيقول أطباء الأمراض العقلية ، والعصبية ، والنفسية ، أطباء الأذن والحنجرة والأسنان والنظر ، أطباء أمراض القلب واللسان ، المرارة والكبد والطحال ، أمراض الرئتين والقفص الصدرى ، ماذا سيقول علماء الاجتماع والأنثروبولوجى والآثار ، علماء الجينات والخلايا ، علماء الإجرام . لكن . بجد . دعنا من المزاح السخيف ، والافتراضات العتيقة . وفهمنى سر حالتك ، أبدا لم تستطع أن تستقيم مع امرأة واحدة ، مع فكرة واحدة ، مع عمل واحد ، مع مشروع واحد ، مع مكان واحد ، مع زمان بعينه ، مع شكل ، مع اتجاه ، مع حركة ، مع شىء واحد تعتقد فيه وترمى عليه همومك كما يفعل كل البشر ، أنت متعب ، متعب ، لا تلوى على شىء نهايتك أيضا لن تكون

fb/mashro3pdf

واحدة ، لو استقر بك الحال لتكون فعلا رساما شعبيا يحمل صفيحة الجير الملون والفرشاة الكبيرة ليدور على القرى والأنحاء يرسم الأطراف المدلاة من المراكب الغرقى والشاحنات المحطمة على الطرق السريعة والطائرات المحترقة فى السماء فى لوحة الجحيم التى رسمت فى وسطها جماعة المكفرين بلحاهم وهم يمسكون بالثعابين على هيئة أسواط ملتهبة يضربون بها رؤوس الذين كانوا يصفونهم مرة بالزنادقة ومرة بالمهرطقين ولكنهم فى كل الأحوال هم كفار يمشون بهم فى اتجاه الجحيم حيث المخابئ والصوامع والزوايا والكهوف والخلوات فى مزارع القصب والقطن والكراث والفجل والشطة واليوسف افندى والموز واللارينج والشرطة والكلاب والرصاص والحرائق ورأيت وجها يصرخ أعلى القاهرة: هاجت على بعضها الخلائق والراقصة تسبح فى بركة الماء أمام تمثال رمسيس فى باب الحديد والقطارات تخرج صارخة عن القضبان تندفع إلى الأسواق تنفث الجثث وتحرق العشش صارخة والخلق يندفعون فتجد نفسك محاطا بالشخوص كمؤلف محاط بهؤلاء الذين يبحثون عنه ليؤلفهم من قلب المتاهة التى تتجول فيها لتصل إلى النهاية لكن المتاهة تدور بك وتعود وتلف فى هذه الحكاية الخرافية والرواية الكاذبة الأسطورة التى لا تعرف لها ملمحا ولا تعرف فيها الآن وفى هذه اللحظة شيئا ولا حتى شوقك لأن تستطيع اتخاذ قرار بهذه الجرأة وعلى هذا النحو أن ترعى ناقة لتشرب لبنها وتمد البصر عبر الصحراء الصحراء الممتدة وتأكل التمر وجبن الماعز ولا شيء سوى جلباب رداء كندرة ولا شيء آخر ، لا بيت ، لا تكييف، لا موكيت ، أو غسالة فول أوتوماتيك تعود إلى جدك تتعلق بلباسه تشم رائحة البعير فيه : يا ناس أنا مالى ومال هذه الأشياء المطاطية ، مالى والسراميك الذى يخنقنى فى الحمام ، مالى وتعبئة برازى فى المواسير ، مالى وهذه الفزاعة التى تضع على رأسها باروكة صفراء وفى شفتيها ليب ستيك أحمر وحول عينيها آى

fb/mashro3pdf

لاينر أخضر أزرق ، مالى وهذه البزاز الجلد والرموش البلاستك والجزمة ، الجزمة ، الجزمة التى دفعت زوج صاحبتها للدخول فى سرداب لم يخرج منه إلا حين رأى يوم القيامة والخلق يتدافعون بين الجحيم والمطهر يتقافزون بلا رحمة والأصوات تدفعهم لمزيد من الهلع فهو الخروج الكبير المفتوح اللانهائى الذى يقود إلى المتاهة التى لم تسم بذلك إلا لأنها صورة من صورة تدخل فى صورة حيث تجدين نفسك يا ضحى - مثلا - فى مقابلة تليفزيونية أو الأحرى وهم يعدونك لهذه المقابلة التليفزيونية فأنت تجلسين ، أولا ، فى غرفة الماكياج ، يزيلون عن وجهك الشعر الزائد ، الزغب ، ثم يخططون وجهك بالملامح التى يريدون أن تظهرى بها (إن كان الموضوع كئيبا فملامحك تبدو كئيبة ، وإن كان فرحا أو حزينا فهم من البراعة لدرجة أن تصبحى على هذا النحو أو ذاك) ثم يصلحون من هندامك (وقد يصل الأمر إلى درجة أن يخلعوا عنك ملابسك التى أتيت بها ليدخلوك فى الملابس الملائمة) الحذاء والشراب أيضا يجب أن يكونا ملائمين ، ثم يأتى المخرج ليصدق على مظهرك ، وغالبا ما يطلب تعديلات (وإلا فكيف يكون المخرج مخرجا ؟) ثم أنك تحسين بيد طرية تمسك بذراعك ترفعك لأعلى فى درجة الوقوف ثم تسحبك - هذه اليد - إلى الأمام إلى ممر طويل طوى ي ي ي ـل مضاء بقوة ، وتفتح اليد الباب وتدفع بك إلى استديو شبه مظلم . تقفين للحظات لا تعرفين ماذا تفعلين ، حتى يصرخ المخرج : اجلسوها ، يا سلوى ، تأتى سلوى لتأخذ بيدك إلى المقعد وتجلسك ، وتعدل من هنامك ، الإضاءة موجهة إلى عينيك (حتى لا ترى شيئا) حتى تزغلل عيناك وروحك أيضا ، عرقانة ، وقد يكون البرد فى الخارج يجمد ملابس المارة ، وتدخل المذيعة الشابة ، الرشيقة ، التى لا ترين منها شيئا فى البداية ، هى أيضا تخضع لعملية إصلاح الهندام واللمسة الأخيرة من الماكياج ، لكن ، وربما بسبب وضعها كعضوة فى المجموعة ، وربما بسبب

fb/mashro3pdf

الخبرة ، فإن كل شيء يتم بناء على مزاجها ، ثم يدخل الموضوع فى الظلام ، فى الكلام الذى لا «يودى أو يجيب» ، حتى تستيقظى من الحلم فتدركين أنك كنت فى مقابلة تليفزيونية جرت معك فى الحلم ، وأنت طبعا تكونين قد صرخت فى المقابلة برأيك الذى قلت فيه يا أولاد الكلب ، أيها الأوغاد ، لقد حطمتمونا ، نهبتمونا ، جردتمونا من كل شيء ، حتى ورقة التوت ، وجعلتمونا عبرة لمن لا يعتبر ، ثم أنك ترين أن خطبتك العصماء هى بدورها ذهبت مع الريح التى نسميها نحن الخماسين ويسمونها هنا الطوز ، ويا لها من كلمة تجعلك فعلا يا صنحى تطوزين ، لأنك فعلا عند هبوبها تذهبين فى حالة قرف وكره للحياة كلها فما هو أشد من الاختناق ، من عدم القدرة على التنفس الذى يجعلك غير قادرة على الحركة ، على ملء الجوف ، على التبرز ، على ممارسة الحب الذى يكون هنا هو أصعب الأشياء وأندرها فأنت فى ضياع بين حشد المضيعين المسكين بالأيدى متضامين فى سرحة السرحات التى يعلوها الغبار وتحف بها النيران وتطوقها الكلاب الضالة وتركض الخيول المجنحة (بالأجنحة) فى نهاية المشهد ليظهر من وسطها ذلك القديس الملتحى الممسك برمحه وعلى رأسه قلنسوة الحرب ومن كتفيه ينزل العباءة المطرزة بالحكمة : العدو أمامكم والبحر خلفكم لكن لم يظهر سوى العدو من كل اتجاه طوق أعناقكم بالسلاسل المعلقة إلى السماء والطيور تتجمد فوق الرؤوس حتى ساد الصمت ولم يظهر سوى صوت ذلك العربى الطلوقة الذى صورته الأفلام الأمريكية مؤخرا وهو محاط برهط نساء يداعب هذه وينط على تلك لكنه لايفعل شيئا حقيقيا (ولا حتى الجماع الرجولى) لكن ملامحه تنز بالنذالة وعينه بالقبح ونفسه بالبخل كما كانت المسرحيات القديمة فى بلاد الفرنجة تصور اليهودى أبو قتب وهو يحتضن رزم النقود وينظر بعينيه لزوجته بخوف وهو يموت فى صندوق مع كنزه الذى وفره من قوت عياله ثم يدخل فى حارته فى زقاق اليهود

fb/mashro3pdf

فى قاهرة القرن الثامن عشر قبل أن تدق الطبول تدق الطبول تدق الطبول بالعداء الذى انقلب على صاحبه ولم تكن تتخيل يوما أن تعيشه فى نفسك حتى ولو لم تك/ تكن رجل سياسة أو رجل حرب أو رجل مال إنما أنت فقط رجل يومك تجرى على رزقك ورزق صغارك لكنك ودون إرادتك لا تستطيع أن تفلفص من قبضة ما جرى وما يجرى وما سيجرى يخنقك بالحبل ويطوح عنقك بالألم ويغز السكين فى جنبك فتسيل دماؤك وتجرى لتدوس عليها الأقدام آلاف الأقدام آلاف الأقدام فى مداخل الموانىء وعلى الحدود الممتدة المحوطة المحاطة بالأسلاك الشائكة والمطارات المدججة بالكلاب البوليسية والقوات الخاصة ورجل المطافى العجوز يضرب كفا بكف ويعجب من كثرة الخلق وتلونهم ثم يقوم ليكافح النار فإذا بالزلزال فيقوم ليكافح الزلزال فإذا بالفيضان الذى يأخذه بين آلاف الجثث فلا تنفعه قلنسوته ولا خرطومه ولا حذاؤه الطويل ولا البلطة ولا الصفارة ولا الحزام ولا الجنون الجنون نفسه لا ينفع رجل الإطفاء كما لا ينفع الجاونتى الذى يلبسه محمود الجزار قبل أن يبدأ فى قراءة الصحف لينام بجوار القط وبقايا قصاصات إعلانات الصحف التى كان يجمعها ثم أصبح يجمع صور أثداء النساء أو على سليمان الذى هتف : الدنيا مسرح صغير . إطاراتك أشبه بإطارات المسرح ترسم ملامحك على مرآة النص ألا ترون لقد قالت لى لأن شاربك وسكسوكتك والبيريه ، لم تلبس البيريه ، هل من أجل تغطية صلعتك ، لكنها خفيفة فأنت لست أقرع بالكاد مع أنه أقرع فعلا لكن انظرى ما وصل إليه حال الرجال لا ، لا ، لا ، لكن ما خطب به ذاك اليوم لا يساوى شيئا وهو يقرأ قائمة الأسماء التى نشرتها صحيفة الوطن نقلا عن صحيفة القادسية العراقية للأسرى العائدين إلى أرض الوطن وضمنهم شعواط . حنتوش . حلبوس . هدلى . دزه - بى . إموازى . مهلوس. خشيف. منخى. فنطول. طخاخ. تامول . بعنون . شمار . عرد . رسن .

fb/mashro3pdf

كجيط . منخى . زغير . بديخ . مكصوص . محيس . شليح . غليفص . خرينج . عميص . موعيزى . صنيدح وقامت خناقة فى الشلة بين فريقين فكان منا من يرى أن هذه تريقة على خلق الله وهذ حرام وكان من رأيى أنها مجرد فقرة فكاهية وأن محمود الجزار رجل مسكون يمشى فى الطرقات ويتحدث ثلاث لغات هندية تعلمها على يدى البقال المجاور هى الكانادا والمالابالام والغوجاراتى ويظن أن العالم يتمخطر من خلاله وهو يجرجر عشرات الصحف خلفه والحقيقة أنه يسير منوما بجوار القط ويكرر الرسالة التى وجهتها الصحف المصرية عام ٦٧ لـ «ستات البيوت» المصرية «فى حالة إعلان الحرب» ويلهج بها دون أن يستطيع أحد إيقافه : تعرفى على علامات الإنذار المختلفة لتستطيعى أن تفرقى بينها فابتداء الغارة «ينذر» عنه صفير متقطع لمدة دقيقة وإنهاء الغارة «ينذر» عنه صفير مستمر لمدة ٤٥ ثانية ، تأكدى من وجود أدوات الإسعافات الأولية عندك فى البيت وخزنى كمية مناسبة من الرمل أو الماء كاحتياط ضد الحريق ، حددى من الآن الأعمال التى سيقوم بها كل فرد من أفراد أسرتك فى حالة حدوث غارة أو حالة نشوب حريق ، إحرصى على ألا يكون هناك أى مواد قابلة للإلتهاب فوق سطح منزلك أو فى شرفاته ، إطلى زجاج النوافذ بالمادة القاتمة أو ضعى عليها ستائر بحيث لا يظهر منها أى ضوء من الخارج فى حالة حدوث غارة ، لا تروجى إشاعات أو تسمحى لأحد بترويجها لأنها تحدث فزعا وتضعف الروح المعنوية بلا مناسبة ثم يقول : ضعيف . ضعيف . أنا ضعيف . أف . لكننى لم أستطع يا ليلى . أقصد يا ولاء أن أحتمل صوته الذى كان يردد آلاف الأصوات وأنا لا زلت هائما فى بحار الليالى أنتظر المواعيد لكنهم لم يكونوا قد جاءوا بعد ربما لأنهم لم يستيقظوا بعد وكنت أنا – والحلم لم يزل – أتحدث عنهم ، أتهجى اللغة المطلية بالغربة ، المدفونة نصف قرن فى الجرة الملأى بالملح فكل هذا التزاحم والتشاحن قد أكد لى أننا فى

fb/mashro3pdf

غابة مظلمة يلفها الصمت الرهيب حيث تسبح فى بحور الخضرة المنيعة عسيرة المسالك تتشابك فيها النباتات المفترسة الطفيلية التى تلف بمخالب وحشية أعناق الأغصان فى سلسلة لا تنتهى من الأشجار تتضافر كلها لتؤلف منظرا يجعلك تحس بالذلة والصغار وأنت تتشبث بالرقية فى يدك المرتعشة فى الهدوء المتربص حتى ينفجر الرعد عبر الغابة ويدوى كمدفع يطلق حممه وراء الأذن لتضرب قواعد الأرض وتترنح ويتساقط المطر والبرد من أعلى كأنما جيش يقذف بالصخور يهيل عليك الماء من قربة ضخمة ضخمة فتنقض الصواعق الملتهبة كالقنابل لتسدل سجف الظلام ألسنة وأستارا من النيران البيضاء فيكون خوف من نهر النار وخوف من الدودة التى لا تموت وخوف من الظلمة الخارجية فتذهب لتتشبث بأمك تمسك بجلباها وهى ترقيك من الجنى داعوج الذى يأتى فى الليل فى ثياب قرمزية ليهاجم الضالين فى الطرقات الموحشة ويأكل بعضهم (وينجو البعض الآخر من مخالبه لكنهم يموتون فى بيوتهم قبل أن يرتاحوا على أسرتهم) ثم يغيب تحت الأرض على الرغم من ضخامته لتظهر زوجته شهيول فارعة الطول وهى ترتدى ثوبا أبيض وتعيش فى جذع النخلة وتعلم الضالين من وراء زوجها كيفية اتقاء شره لكن أمك ماتت منذ زمن ودفنت بجوار والدك فى مدافن الوزير الذى سبقها ولم يبق لك من العائلة سوى عمة عجوز عادت إلى بلدها الأصلى فى الصعيد واختفت أخبارها ، فأنت إذن مقطوع الجذور ، وتخيل نفسك بين يدى مؤلف روايات أحمق يسعى لأن يعبر عن مثل شخصيتك (مقطوعة الجذور) فلابد أنه سيرسم ملامحك لو كان يحسن كتابة الروايات التى امتهنها كل من هب ودب وتجرأ عليها حتى أنك وقد كنت مدمنا على قراءة الروايات تخليت عن هوايتك الوحيدة التى كنت تحبها بسبب هؤلاء الذين ملأوا الساحة ضجيجا وليس بينهم من هو كاتب روايات حقيقى الذى هو نبى عصرى بمعنى الكلمة وهو بالقطع

fb/mashro3pdf

موجود وسيظهر ليملأ الدنيا روايات تخدش حياء القصة الكبرى وإن كان يطالعك بتصوير حياة شخص يراه أصحاب العقائد غارقاً في التفاهة لأنه يهوى شراء أوراق اليانصيب ويحلم ولا يكف عن الفوز بالجائزة الكبرى وهو من جهة أخرى لايكف عن جمع نتف النفايات من على الموكيت تحت تأثير نظرية متابعة النظافة بهذه الحركة التلقائية الدائمة حتى لا يضطر لتشغيل المكنسة الكهربائية التى يدعى أنها تسبب له رعبا من نوع خاص ينتهى بصداع مؤلم ودوخة مثل تلك التى أحسست بها من نفسين من البانجو اللعين الذى أضحى منتشرا إلى درجة أن هذا الروائى يمكنه أن يصف هذا العصر بعصر البانجو وهو مطمئن بأنه لامبالغة فى الأمر وإن كانت نفوس الشباب فى الجزيرة العربية كلها مكتظة بالرعب لأنهم فى السعودية يضربون رؤوس شاربى البانجو بالسيف فتصور جسدك المرتعش ورقبتك تنز بالدم قبل أن تطلع روحك فأنت تحس بالجرح فى رقبتك كأنه ماذا، كيف يمكنك أن تصف الموت قبل أن تجربه فهذا شيء لا يمكنه أن يكون موضع نظر أو قياس أو كلام وحتى تخفف عن نفسك عليك أن تقتنع بأنك لست فى جدة أو الرياض وإنما أنت فى الكويت على الرغم من أن المسألة فيها إعدام أيضا وهو نفس الإحساس الذى تحسه وأنت ذاهب كل صباح للعمل أو كما قال جاسم عباس المحال على المعاش مبكرا ليلعب فى البورصة فهو أيضا يحس بنفس درجة الرعب وهو يدخل مبنى البورصة على الرغم من فخامته الزائدة لأن خبطة واحدة يمكنها أن تزلزل كيانه صعودا أو هبوطا لأنه كما يقول يمكن أن يكون الرعب ساعة الفوز نابع من خوفك من الذين خسروا لأنه ما المانع من أن يدهسك أحدهم بسيارته ويفر فى الظلام الدامس الذى تخفى به وارتكب جريمته من تحت سدله .

وقال هذا الكويتى المسكين ذو الأصول الإيرانية بأنه تمنى أن يمتلك تلك القوة التى يتمتع بها «ص م » السيلزمان وزوجته «س ل» السيلزمانة اللذان يخرجان كل

fb/mashro3pdf

صباح وهما غاية فى القوة وفى يد كل منهما حقيبة بها عينات البضاعة وفى دماغيهما خطة منظمة للإيقاع بالزبائن وتدبيسهم فى صفقات ليست بالضرورة خاسرة ولكنهم قد لا يكونون فى حاجة إليها ثم أنهما سيفران فى النهاية إلى بلدهما وهما يحولان مكاسبهما أولا بأول وما يمكنك أن تخرج به من كل ذلك لا فقط تلك الغصة التى تحس بها فى بلعومك وأنت ترى أفواج الخارجين بمئات الألوف إلى حيث لا تعرف بالضبط إلى أين هم ذاهبون وأنت تفكر جديا فى كتابة وصيتك لتوزيع أراضى مملكتك على القنان فتقف لتشير بعصاك «العوجة» إلى الحدائق الغناء وفيها الطواويس «تتمختر» على النجيل الأخضر والبط الملون يسبح فى مياه البركة المباركة والطيور من كل نوع ولون تتقافز فوق أغصان الشجر وأنت توقع على صكوك الهبة التى يكتبها مدير الدائرة لابس الطربوش والمنديل المحلاوى وهو يتأفف لعدم رضاه على هذا القرار المتهور لكنك سعيد وأنت ترى الفلاحين يبنون لهم بيوتا تظللها الأشجار الباسقة ويرعون الغنم والأبقار والجاموس ويفلحون أرضهم إثر أول يوتوبيا متخيلة فى العصر الافتراضى الذى تعيشه مع نفسك ثم أنك تقفز من الحلم على ضجيج عربات الكارو المحملة بالنساء العجائز المهاجرات إلى البلاد البعيدة والبغال تنهب الأرض حتى يختلط الجميع فى الصحراء الممتدة حيث يبين من بعيد قصر أمير قبيلة عنزة وهو أمير الأمراء حتى ليقال إن الملوك والأمراء يستقبلونه على حدود بلادهم فهو الذى يفصل فى حوادث الدية إن أمر استجاب الجميع وهو يجوب الجزيرة العربية متخطيا الحدود كما كانت كل القبائل تأتى وتروح ولا تعرف حدودا ومن حوله الجند الملثمين بالشماغ يمسكون بالبنادق فى أياديهم المعروقة وينظرون بالشرر فى عيونهم كما يكون عليه الرجل الصقر وهذه هى حكاية القبائل التى تجوب الجزيرة العربية منذ الأزل وربما كان قرينى هو ذلك الذى هناك يجلس القرفصاء ويمد يده للمنسف

fb/mashro3pdf

ويكور الأرز فى كفه ويلقى بالكرة فى حلقة كما يفعل عرب الصعيد ورائحة الشواء تفوح من الخروف الممدد على السيخ يلفه الهندى على النار وهو ينظر فى وجه قرينى الذى ما أن رآنى حتى جاء إلى وجلس القرفصاء فى مواجهتى وراح يناقشنى فى المشكلة مؤكدا أن الموضوع لا يمكن أن يستمر على هذا النحو وأنه ما كان يجب أن يحدث ذلك لأنه ليس من الممكن لأى بلد فى العالم أن تحتمل أن يفكر شعبها كله فى الخروج حتى أن أم محمد بائعة الخضرة على قفص الجريد عند ناصية الحارة أكدت له أنها ذهبت لثلاث مكاتب من مكاتب وزير العمل لتسهيل هجرة العمالة وأنهم طلبوا منها خمسة عشر ألف جنيه قبل أى كلام ولكنها لأنها سيدة عندها خبرة فى الحياة خاصة وأنها كانت قد وقعت ضحية لعدة عمليات من النصب أكدت لمدير المكتب الذى هو فى نفس الوقت زوج ابنة وزير العمل بأنها لا يمكن أن تخرج مليما واحدا من صرة الفلوس التى تحتفظ بها فى صدرها - هو أأمن مكان يمكن لامرأة أن تحتفظ فيه بنقودها فى الظروف العادية - قبل أن تعرف بالضبط نوع العمل الذى سيسندونه إليها عند السفر لكن المناقشة أغلقت عند ذلك لأن الرجل قال لها بأنهم لا يضمنون الموت والدفن مرة واحدة فقالت إنهم يضمنون الموت فقط لكنها أرادت أن تضمن الدفن ، فكيف بالله عليك يمكن لامرأة مثلها أن ترمى بجثتها فى الشارع والناس هذه الأيام بلا رحمة فى قلوبهم فيمكن أن تأكلها الكلاب الضالة عندئذ وأنت تعرف يارفيقى أن المصريين يهتمون جدا بمسألة الموت حتى أن الواحد منهم على استعداد أن يضع كل مدخراته فى سبيل الحصول على مقبرة له ولأولاده كما حدث بالفعل مع والد ولاء الذى وضع مكافأة نهاية الخدمة فى مقبرة وجدها بعد أن داخ بحثا عن واحدة حيث راح ومنذ طلوعه على المعاش ولمدة سنة ونصف يبحث ويبحث كل يوم يخرج من السابعة صباحا ولا يعود إلا فى المساء وهو فى صحبة سماسرة المقابر

fb/mashro3pdf

الذين أذاقوه مر العذاب حتى جاء ذات مساء وهو يبتسم وطلب كوبا من الشاى وزف الخبر وهو يدخن السيجارة من طيز السيجارة كما قالت ولاء ، وقال الحمد الله وجدت المقبرة ، ثم أنه رفض الكلام عن الموضوع واعتراه الهم لمدة أيام وظن الجميع أنه سيموت ولكنه لم يمت لكنه راح يجلس تحت الغطاء طوال الوقت يأكل أو يذهب للحمام ثم يعود للنوم فيالها من استراحة وددت لو عملتها وهو أمل لا يضاهيه أمل آخر حلمت به قبل سوى العمل مهرجا فى فى سيرك يجوب البلاد ليلعب الألعاب التهريجية وهو يصبغ وجهه بالألوان ويعتمر الطرطور المرقع والجلباب المرقع أيضا ، وينفخ فى البوق : طز ، طز ، طزطووووز ، ز ، ز ، ز ، ز .

fb/mashro3pdf

(باب)
فى
يقظة الناجين

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(ف)
ميم الملاحظة

أظن أن من الأمانة أن أقوم بهذه المهمة على نحو مختلف عما كنت أفعل طوال حياتى .

علىّ أن أرسل هذه الملفات إليك أنت يا ضحى بالذات ، فأنت أولا أكثر الأشخاص الذين يمكننى أن أأتمنهم على شئ كهذا ، وثانيا لأنك ، مثلى ، تحبين التسلية بمثل هذه الحكايا .

لقد وجدت هذه الملفات التى تحكى قصص من نجوا من حادثتين إحداهما لطائرة والثانية لأتوبيس جرتا مؤخراً لمصريين ونشرتهما الصحف (وتحدثت بهما مطولا القنوات الفضائية) فى مغلف كتب عليه اسمى وتركه (من تركه) أمام باب مسكنى ، وإذا كان لى أن أخمن أسم هذا الشخص (س) الذى ترك المغلف فلابد أن يكون هو على سليمان ، لأنه الوحيد من أفراد الشلة الذى يمكنه أن يصوغ هذه الحوادث على هيئة قصص.

(لقد تأكدت الآن – يا ضحى – من أنه فعلا يمتلك قدرات لا بأس بها فى الكتابة .

علىّ أن أعترف له بذلك ، بل إن من الأمانة أن أبلغ بقية أفراد الشلة بهذه المفاجأة ، لأننا ، جميعاً شككنا فى كلامه عن هذه المسألة.

لكن ، وللأمانة أيضاً يا ضحى فإن حوادث عديدة من هذا النوع جرت طوال السنوات الماضية ، لا فقط للمصريين المهاجرين ، بل لآخرين من جنسيات أخرى ، كما لابد من الإشارة إلى أن حوادث السيارات ، خصوصاً تلك التى تحصد أرواح الكويتيين هى من أكبر الأرقام فى العالم).

المهم أن هذا الشخص (س) طلب منى فى رسالة مقتضبة مكونة من عدة

fb/mashro3pdf

أسطر ، أن أرسل الملفات ، بعد قراءتها إلى شخص أثق به يمكنه الاحتفاظ بها فى مصر ، «نظراً للأهمية القصوى لذلك». ، وأظن أن من الأمانة أن أفعل ذلك ، على الرغم من أننى غير متأكد ما إذا كان على سليمان هو الذى تركها أم غيره.

هل أفعل ذلك على الفور أم أنتظر لأتدبر الأمر ؟

أظن أن هذا ما على التفكير فيه خلال الأيام المقبلة.

(سأشرح لك الموضوع - يا ضحى - بتفصيل أكبر ، ربما فى الرسالة التى سأكتبها لك مع الملفات).

fb/mashro3pdf

(ف)
الناجون من حادث الطائرة

١ - سليمان جوهر فني الأجهزة:

«واو» وقام من السرير الأبيض غير مصدق أنه لا يزال على قيد الحياة ، ولو كانت لدى قدرة على التعبير عما جرى لسطرت ملحمة ، وأخذته رجفة وهو يتذكر التجربة ، كان المقعد يطير بى ويلف ويدور فلم أحتمل ، وأخذ نفسا عميقا وهو يضع يده على جانب فخذه المكسور ، لا ، لم يحدث هذا ، لم أسقط من ارتفاع ثلاثين ألف قدم ، لا ، لم يحدث ، لابد أن هذا كان حلما.

وراحت الصحف وقنوات التليفزيون والمجلات تصف الموضوع باعتباره معجزة ، معجزة لم تحدث من قبل ، وقال كاتب عمود فى صحيفة الوطن العربى ، أنه لابد من الكشف عن قدراتى الخفية ، تصور ، وقال أن بإمكانى العرب الاستفادة منها فى تحقيق أحلامهم المستحيلة (من قبل تحرير فلسطين أو الوحدة العربية أو أى من هذا اللغو الذى يجعلنى أحس بالرغبة فى التبول على العالم) ومع ذلك فإن أحداً لم يتحدث عن كيف ولم سقطت الطائرة أصلا ، ورفع ساقه الوارمة وأسندها على الفراش ، ووجدونى ملقى على شاطئ الخليج بجوار سمارة ، مربية الأطفال التى بدا أنها تعلقت بى لأنقذها ونحن نرفرف فى الهواء ، وقالت إحدى الصحفيات أنه لابد من استغلال هذه الحادثة لعمل قصة روميو وجولييت ، أو قيس وليلى طائرين فى الهواء هذه المرة ، وأخذت أسأل عن هذه الجولييت فإذا بها من الجنس الثالث ، هكذا أكد لى الطبيب المصرى الذى كان يعالجها ، وقال إن هذا ما جعل السيدة الكويتية التى تعمل عندها توافق عليها لأنها لم تجد فيها خطراً على مستقبلها مع زوجها ، وراح يتحرك مرة ثانية تلبية لرغبة الطبيب ،

fb/mashro3pdf

كيف يمكن لى أن أصلح الأجهزة وأنا على هذا النحو ، مكسر ، مضعضع ، تهتز يدى من الخوف الذى لا يزال ممسكا بتلابيب نفسى ، ورفع يده إلى أعلى ليتأكد من أنها لازالت تعمل ، هذه الآلة لا يجب أن تتوقف وإلا ، سيكون مصيرك بيت العجزة ، هذا إذا وجدت واحدا يؤويك بالمجان ، لا ، سأقاوم ، قال الطبيب بأن نصف العلاج يأتى من رغبة المريض فى الشفاء ، طبعا أرغب فى الشفاء ، من يريد أن يظل عاجزا ، ومن يعرف ربما جاءت جولييت فعلا ، هبطت على من السماء لتخفف عنى بلواى ، من يعرف ، وعاد مرة أخرى للفراش ، وتمدد متمنيا أن ينام.

٢ - سمارة مربية الأطفال :

وأفاقت من غيبوبتها المتكررة وهى شبه متأكدة من أن مستقبلها فى الكويت أضحى على كف عفريت ، نعم ، أنا أعرفهن ، كيف تبقى أم نواف علىّ وأنا أعرج ، قال الطبيب أننى فى حاجة للراحة ، ولابد أن أم نواف ستجد من يعمل مكانى ، لا رحمة فى الموضوع ، ألم تقلها لى والأنفلونزا تعصف بى ، قالتها بالمصرى «هوا أنا فتحاها ملجأ يا روح أمك ؟ » لم يكن ينقصها إلا أن تفرش «الملاية» وتردح ، وهنا على أية حال ردح من النوع الثقيل ، الكلمة كالحجر الصوان تسقط على «نافوخك» فتجرح روحك ، وتحركت بصعوبة إلى نهاية العنبر ، روائح المرضى الهنديات والباكستانيات والفليبينيات تملأ المكان ، روائح هى خليط من العطر الشعبى الرخيص والتوابل ، جلست فى الحمام وهى تهيئ نفسها لقبول المفاجأة ، لابد أن أم نواف ستأتى وفى يدها تذكرة السفر ، «حتفنشنى» ، وضحكت على الكلمة (البشعة التى لها طعم العلقم فى حلوق المستخدمين) التى كانت تسمعها وظنت أنها ستكون بمنأى عنها حتى نهاية العمر ، لقد هيأت نفسها لذلك ، لم يكن لديها أحد أو شئ يدفعها للعودة ، وكان كل شئ يوحى بأن الحياة ستسير على هذا النحو ، لم تقصّر فى عملها ، وكل ما فى الأمر أنها أرادت أن تطمئن على

fb/mashro3pdf

شقتها فى القاهرة ، تدفع الإيجارات المتأخرة واشتراكات الكهرباء والتليفون وخلافه ، ليتها لم تذهب ، لم تسافر ، لكن القدر ، الذى حملها مسئولية كونها عاجزة عن أن تكون امرأة كاملة حتى يتربص بها من جديد ، وأم نواف معذورة على أية حال ، ماكينة العمل لابد أن تستمر ، فهى بعد أن اعتراها الخوف من أن يتركها أبو نواف فى أية لحظة ، ويتزوج بفتاة صغيرة (مصرية أو لبنانية) قررت أن يكون لها «بزنزها» الخاص ، اشترت عمارة تؤجر شققها للمقيمين وأحتفظت بطابق كامل كمكتب ، لا أعرف بالضبط ما يتم فيه ، لكننى أسمعها وهى تتحدث فى التليفون بالأرقام التى تصل إلى الملايين ، أبو نواف هو أيضاً يعمل فى البنزنس ، وأظن أن عمله مرتبط بالبورصة بشكل ما ، ما لى أنا وهذا ، لم أتدخل أبداً فى شئونهما وهو ما جعلنى ذات حظوة عندهما ، وقامت بصعوبة ومشت إلى سريرها ، البنت الفلبينية رمقتنى بطريقة توحى بأنها ربما تكون قد كشفت سرى ، لا ، يا سمارة ، لا تفكرى فى ذلك ، فهذا هو الخطر بعينه ، لا تضيفى هما آخر على همك المقيم ، أنت كبت رغبتك طوال عمرك ، فلم تريدين الآن ، لا ، المشكلة أن الأولاد سيوحشوننى ، أنا ربيتهم كأبنائى ، عوضتهم عن غياب الأبوين، وعوضونى هم عن كونى عانساً بلا زوج أو أطفال ، ماذا ستقول شيماء ابنة العاشرة وهى التى لم تكن تنام إلا وأنا جالسة بجوارها على الفراش حتى تغفو ، وماذا عنك يا نواف ، أيها الصغير الحبيب ، كيف لى أن أتحمل بكاءك وأنت تودعنى ، وأنت يا دانة ، أيتها الشقية التى لا تكف عن الحركة ، من سيتحملك مثلى وأنت لا تكفين عن محاولات تخريب كل ما تقع عليه يداك ، أنا أعرف مصيرى على أية حال : امرأة ، نصف امرأة ، لا ينظر إليها الرجال ، وحيدة فى شقة مظلمة ، بلا أحد ، ربما سأموت ويتعفن جسدى حتى يلاحظ الجيران رائحتى ، لكننى لازلت حية على أية حال ، لحظة أن كنت أصارع الموت فى الهواء كان كل فكرى أن أنجو ، وها أنذا نجوت ، بضع كسور لا تضيف شيئاً

fb/mashro3pdf

على عجزى الآخر ، كونى من هؤلاء الذين كتب عليهم أن يعانوا الغربة ، غريب الدار ع الدوار .. ياه ، حتى الاغنية لم أعد أذكرها ، نسيت الأغانى أنا التى لم تكن تكف عن الغناء ، كم من الليالى قضيتها وأنا أغنى لشيماء ، عبد الحليم حافظ وفايزة ، لكن يبدو أن زمنى مع الغناء قد انتهى ، أنا نفسيـ . ..

ومددت جسدها على فراش المستشفى الذى لم تكف عن إحساسها بأن آخرين كانوا يتمددون عليه حتى رفعوهم من فوقه ، إليـ .. وأخذتها غفوة طويلة، كما يمكن أن يكون الموت قد جاء .

٣ - د. على محمود أستاذ الجامعة :

وراح منذ الحادثة يخلع ملابسه ويتطلع إلى جسده العارى فى مرآة الدولاب بحثا عن الآثار الخفية ، لا يمكن أن تكون هذه الآلام مجرد أوهام ، حالة نفسية كما قال الطبيب ، وقالت الممرضة أننى تحدثت فى غيبوبتى عن غموض سقوط الطائرة المصرية فى أمريكا (التى أنا متأكد ، ككل المصريين ، من أن صاروخا ضربها) ، وألقيت خطبة عصماء عن النسيان الذى لفلفوا به حادثة طائرة سلوى حجازى) ، من القاتل هنا وهناك ، ويا ترى من كان معنا على الطائرة مستهدف بهذا الانفجار ، الحقيقة أنه لم يكن هناك انفجار ، وإنما سقوط مدوى على شاطئ الخليج ، الجزء الأكبر من الطائرة غرق فى الماء وأخذ معه مائة وأربعين شخصا ولم يبق سوى الخمسة الذين سقطوا على الشاطئ ، أنا واحد منهم ، وعاد ينظر إلى جسده ويعجب من أن شيئاً لم يصبه ، لابد أن «الرضوض» فى الداخل ، لابد أنها ستظهر بعد وقت ، ربما هناك نزيف بطئ فى عضو من الأعضاء ، نزيف خفيف لن تظهر آثاره إلا بعد وقت ، ومشى إلى الصالة حيث سناء زوجته تتابع مسلسل يسرا الجديد ، الأولاد هناك فى القاهرة ، كانوا هنا حتى انتهوا من دراستهم الثانوية وكان لابد من إرسالهم للقاهرة لإكمال تعليمهم ، وأحس بالندم على أنه شارك فى كتابة الأبحاث للطلبة مقابل نقود عبر مكتب يقوم بالسمسرة

fb/mashro3pdf

بين الطلبة والأساتذة ، وأحس بالندم وبأنه ربما يكون هذا عقابا ، علىّ أن أعى الدرس ، تصور لو أننى كنت قدمت وأنا عاكف على كتابة أحد هذه الأبحاث ، وكان من المستحيل عليه زحزحة سناء عن متابعة مسلسل يسرا ، ومشى مرة أخرى ودخل غرفة النوم ، ووقف بالقرب من المرآة ، وخلع ملابسه مرة أخرى ليتأكد من ظهور الآثار ، وأحس «بنغزة» فى ظهره من الأعلى ، فى المكان الذى لايمكنه أن يراه ، ونادى على زوجته ، لكنه قطع النداء ، لأنه يعرف أن من المستحيل زحزحتها عن التطلع إلى يسرا وهى تشهق وتبربش بعينيها ، وتقول كيف يمكن ؟ كيف هذا ، وقال إنه كيف له أن يأخذ منها حقا أو باطلا وهى تعرف بأمر الأبحاث؟ وراح يتطلع بتمعن إلى جسده العارى ، يدقق ويفحص ، ويمعن الفحص، مرة بالنظارة ومرة بدونها ، غير مقتنع إطلاقا بأنه خال من الجروح ، حتى أصابه بالفعل نزيف داخلى نقلوه على أثره للمستشفى .

٤ - حنان مدرسة الرياضيات :

«واو» وراحت تنظر لأطفالها الثلاثة ، وعلى الرغم من الشقاء الذى تعانيه فى تربيتهم ، إلا أنها لم تكن تتصور كيف سيكون حالهم وقد اختفت ، اختفت فى الفضاء ولم يبق منها شئ ، ولا عضو واحد ، ومن حسن حظها أنها تركتهم مع والدهم لأسبوع واحد ، كان والدها على شفا الموت وكان لابد لها من أن تلقى عليه النظرة الأخيرة ، ولكنه قام بسلامة الله بمجرد أن رآها ، كان يحبها لدرجة العشق وكان فى شوق لأن يراها ، ابنتى الوحيدة التى تركتنى مقطوعا كشجرة وحيدة فى البرية ، ما الذى أفعله ؟ كيف لى أن أعود قبل أن أكمل أقساط الشقة وثمن العربية ومدخرات تساعد فى تربية الأولاد ؟ هه ؟ قل لى ، كيف يمكن قبل ذلك ، أن أن ، وتكتشف أنها بدأت تتأثىء ، وهى فرصة جاءت ويمكن أن لاتتكرر ، فرصة واحدة فى العمر يمكن أن لا تحدث مرة أخرى ، وقالت لها طبيبة السيكولوجى أن هذا من تأثير الصدمة ، ولم تتخيل أن امرأة أخرى تقوم بتربية

fb/mashro3pdf

أولادها ، حماده ونوسه وفيفى ، يا ولاد ، أن أن ، طبعا سيتزوج ، وسيكون له الحق ، كيف لرجل أن يتدبر أمر ثلاثة أطفال أكبرهم فى التاسعة ، ونوسه لاتزال تلبس البمبمرز ، وعلى الرغم من وجود الشغالة كانتى السيريلانكية إلا أن أنفاسه انقطعت لمجرد غيابى لمدة أسبوع لمجرد أنه يراقب ما تفعله كانتى بهم ، وأخرجت مرآة يدها الصغيرة من حقيبتها التى تجعلها بالقرب منها دائما ، لا لشئ ، إلا ليكون بإمكانها إخراج هذه المرآة الصغيرة ، ولا يمكن لها حتى الآن أن أن تتحرك إلا للضرورة ، أصابها شرخ فى الحوض ، وكسر فى الكتف ، فهى ترتدى قميصين من الجبس ، وأمامها ما لا يقل عن شهرين لتتعافى ، وراحت تنظر فى المرآة لترى ما إذا كانت هناك تجاعيد أخرى قد ظهرت ، ولأن هناك تجاعيد كانت تعرفها ، إلا أنها تصر على أنها لم تكن بهذا القدر من الوضوح إلا بعد الحادثة ، و ، الحمد لله ، وكان من المفروض ، على الأقل ، أن يتحول شعرها إلى اللون الأبيض دفعة واحدة ، ولكن لم تظهر حتى الآن سوى شعرات قليلة هنا وهناك ، كما لو أن القدر قد اختار لها أماكن بعينها ، ولكن الخوف منه (هذا الرجل) بدأ يقلقها ، وأحست بأنه يتباعد عنها ، يتركها بالساعات ، يتشاغل عنها بشغل إضافى جديد ، أو يروح يتابع الإعلانات فى الصحف ، ولم يعد يتحدث إلا عن الأشياء ، الغسالات ، والثلاجات ، والسيارات الفارهة (التى لم يكن يحب سماع إعجابها بها)، والخوف إذن بدأ يتسرب ، وماذا أفعل إذا لم يكن بإمكانى أن أنام معه ، أنا نفسى فى شوق لأحضانه ، وحاولت أن أرضيه بطريقة أخرى ، ولكننى رأيت نظرات الشك فى عينيه ، ماذا سيظننى ، عاهرة ، ابنة ليل متخفية فى ثوب امرأة فاضلة ، مربية ، ويا للألم ، الألم من هذه الأفكار بدأ يصبح أشد من ألم الكسور والجروح ، الألم من كل جانب إذن ، من الداخل والخارج ، كما الخوف ، يحيط بها من كل اتجاه ، الخوف هو العدو الكبير للبشر ، لها هى بالذات ،

fb/mashro3pdf

ورفعت المرآة فرأته يطفو كموج لا يكف عن الدوران حولها من الداخل والخارج ، ومن فوق وتحت ، فراحت فى إغماءة أخرى.

٥ - صلاح مرعى الصحفى فى قسم السياسة الدولية :

ورفع يده إلى عينه المصابة ، ولم يقتنع بعد بفكرة أنه سيضطر لتغطيتها بعين صناعية ، واستبعد طبعا غطاء عين موشى ديان ، إنه أكثر البشر كرها على نفسى ، وتذكر المحقق الذى قال له بأن يكف عن هذه الأفكار ، عن أن كل شئ مؤامرة ، فقد كان حادثا عاديا من آلاف الحوادث التى تحدث كل يوم، و وقد حاول كثيرا أن يستبعد المؤامرة ، لكن كل الدلائل التى رآها ، كانت تدل على أن هناك شيئا ما ، غموض الكلام عن عدد من الدبلوماسيين الذين كانوا على متن الطائرة، -لم- لم يعد يتحدث عنهم أحد ؟ ، بعد المرة الأولى اختفوا من الصورة ، لم نعرف ما إذا كانوا قد نجوا أم ماتوا ، حين سألت لم أجد سوى نظرة باردة ، قال لى المحقق إنه ليس شغلى ، وعلىّ أن أفكر فى نفسى ، أنا أفكر فى نفسى فعلا حين أتساءل ، كيف كانت الطائرة تسير على ما يرام ، والركاب يتناولون طعامهم بنهم ثم فجأة يعلن الكابتن ، على غير العادة ، أنه سيقدم هدية للركاب الأعزاء ، الذين كانوا جميعهم مصريين (هل هذه صدفة ؟) وكانت الهدية فيلم عادل إمام «الإرهاب والكباب» ، (فهل هذه صدفة أيضاً ؟) وفى اللحظة التى يهدد فيها بطل الفيلم (أقصد عادل إمام) بإلقاء أنبوبة البوتاجاز ، وبينما يرفعها أحمد راتب ليلقى بها ، فى هذه اللحظة بالذات ، نسمع الانفجار ، الذى كنا نظم أنه حدث فى الفيلم ، فإذا به حدث فى الطائرة ، ويقولون لى أن هذه صدفة أيضاً ، أى صدفة فجة ، هل هناك صدفة إلى هذه الدرجة ؟ ، وراح يعيد شريط الفيديو الذى أذاعته القناة الفضائية المصرية عن الحادث ، ولاحظ للمرة الألف تناقض البيانات والأرقام فى تصريحات الذين تحدثوا فى الشريط ، حتى القتلى تباينت أعدادهم ، المذيع يقول أنهم مئة وخمسة وتسعون ، ومسئول مصر للطيران يقول

fb/mashro3pdf

إنهم مائتان وثلاثة ، على أى حال متى كانت أعداد القتلى مهمة ؟ فى أى حادثة جاءت الأرقام مضبوطة ؟ ، حتى فى الزلزال الكبير سمعنا الأرقام بشكل مختلف ، هذا يقول بالآلاف ، والآخر يقول بالمئات ، ورفع يده إلى عينه المعطوبة ، وفى كل الأحوال سيكون عليك أن تواجه العالم بعين واحدة ،وهل ستستطيع أن تتقدم لخطبة سناء وأنت على هذا النحو ؟ ، أظن أن موقفك أصبح ضعيفا ، سيكون عليك ، بافتراض أنها تمسكت بوعدها لك بالزواج ، وهو ما أشك فيه كثيرا ، أن تقبل أى شروط يمليها أهلها عليك ، بإيعاز منها أو من أى شخص منهم ، يدافع عن مصالحها المستقبلية ، هذا إذا بقيت وفية على العهد ، مع أنك لاحظت تغيرا فى لهجتها ، فى نبرة صوتها ، وأنت تحدثها فى الهاتف ، بعد الحادث ، حتى «حمد الله على السلامة » رأيتها مفتعلة ، من وراء القلب ، وسيكون عليك أن تبحث عن أخرى ، من ذلك النوع الذى يحب العطف على الآخرين ، فتاة من النوع «الأمومى» الذى يحب التضحية من أجل الآخرين ، وسيكون عليك أن تبقى أبنا لها طوال عمرك ، تدللك متى شاءت ، وتنهرك أيضاً فى أى وقت.

وسحب الغطاء على جسده محاولا أن ينام.

fb/mashro3pdf

(ف)
الناجون من حادث الباص

١- صالح سعد نجار مسلح:

ورفع رجله الصناعية من جواره، بجانب السرير، وأدخل ما تبقى من ساقه داخلها، وراح يربط أحزمتها الجلدية، ووقف، والمفروض أنه «كما قال له الأطباء» استعاد عافيته، وأن عليه، الآن، أن يعود لممارسة حياته من جديد، وأخذته رجفة المفاجأة، وكيف لى أن أتسلق السقالات لأرتفع عاليا إلى الطوابق العليا، كيف لى أن أعمل فى سقف يرتفع عن الأرض عشرات الأمتار، وتذكر أنهم «هؤلاء الذين عملوا معه فى كل مكان، فى مصر والكويت» يسمونه العنكبوت، فقد كان يلتصق بالجدران كما لو كان تلك الحشرة، وأبدا، أبدا، لم تهتز له قدم ولا ساق، لم يحس بالخوف يوما من تسلق الأعالى، فكان يعتبر وجوده فى الأعلى هو الأساس، ووقوفه على الأرض لمجرد استعادة الأنفاس، لمجرد أن يملأ «التنك» بالبنزين ويعود للتحليق، وأحس، وهو يتحرك فى اتجاه المطبخ، بأنه ما كان يجب أن ينجو من الحادث، كان يجب أن تنتهى قصته مع تطوح الباص ثم انقلابه، وارتفاع الصراخ مع أصوات فرقعة تحطم جسم المركبة، أو حتى حين جرى الانفجار الكبير «الذى أحرق جثثا بحيث تفحمت وساحت مع بعضها البعض فلم يعد بالإمكان تمييز هذا من ذاك» على هذا النحو ليس لى أى لزوم فى هذه الدنيا، بلا ساق أنت لا تصلح للتحليق فى الأعالى، وكيف لى، بعد هذا العمر، بعد خمسة عشر عاماً أن أبحث عن عمل آخر، أن أقتطع من ميزتى جانبا، وفكر فى أنه قد تكون هناك جهة ما، جمعية خيرية تتبنى مثل هذه الحالات، مثل حالته، أين يذهب

fb/mashro3pdf

ليسأل؟، إلى من يمكنه أن يلجأ ليجد عنده الحل، هل سيستطيع قبول وضعه الجديد، مثلا، أن يقبل العمل على الأرض، هو النسر المحلق فى السماء، أن يقف إلى «البنك» ويفك المسامير عن ألواح الخشب، كما أى صبى مبتدئ، هل سيمكنه أن يعيش بما يدره هذا العمل الصغير، هل ستتحمل نفسه مثل هذا الوضع، لا، لابد من أن هناك حلا، المهم الآن أن يقرر بينه وبين نفسه، أن لا يقبل، بخصوص هذه المهنة أن ينزل عما كان عليه، وأن يجد شيئاً آخر، ربما كشك لبيع السجائر والمرطبات، وربما فى صنعة الحشيش، آه، هذا هو الحل إذن، أن أذهب لعلى، موزع الحشيش «الذى كنت أشترى منه لاستعمالى الشخصى» وأطلب منه أن يعتمدنى موزعا معه، لكن هل سأضمن أن يعتمدنى، أن يثق فىّ، ألن يتهرب منى؟، هو الذى يشك حتى فى أمه، كما قال مرارا، وراح يفك أربطة رجله الجلدية، لأنم قليلا، فربما جاء الحل بعد قليل من الراحة.

٢- سليم الراعى، حارس بناية:

وتابع حركته فى العنبر وهو يرمق النوافذ بجانب عينه اليسرى، وبدا عليه الاشمئزاز من منظر القضبان الحديدية المغطاة بالسلك السميك الذى بالكاد يرسل أشعة خافتة من الضوء، ولم يكن قد اقتنع بعد بوجوده فى مستشفى الرعاية النفسية، بين هؤلاء المتعبين، الذين يؤدون حركات متباينة، الأمر الذى جعله يكرر طوال أسابيع: نحن فى سرْك، فى سرك، حتى انتقل بعد أن أشتد عليه الخناق، وأدرك أكاذيب الأطباء «والممرضين والأصدقاء الذين حملوه عنوة إلى هنا» هؤلاء الذين حاولوا اقناعه بأن الأمر لن يستغرق سوى «عدة أيام» انتقل إلى عبارة أخرى لازمته فترة أخرى: أنا تعبان؟ لا، أنا تعبان؟ لا، وكف عن مبادلة أى شخص أى كلام، خاصة المرضى الذين كان يستخف بحركاتهم «الصبيانية» «خاصة ذلك الشاب السورى أبيض الشعر الذى كان يقف على يديه طوال الوقت»

fb/mashro3pdf

وحين تأكد من أن الرجل الهندى بدأ فى أكل أصابع يديه بالفعل، بدأ يردد عبارة أخرى راح يكررها بلا ملل: أنا نفساوى، أنا، أنا نفساوى، لا، ويعقب ذلك بفاصل من الأصوات المتراوحة بين أصوات البقر، وأصوات الكلاب، أصوات العصافير وأصوات الذئاب «وراح يسأل الآخرين عن صوت الدب: كيف هو صوت الدب؟ هه، هل تعرف صوت الدب، الدب كيف يصوّت؟» ثم حين يأتى الغروب يبدأ فى ضحك ممزوج بالنحيب حتى يسقط على الفراش ويبدأ فى الشخييييير، ولأنه كان قد عمل منذ وصوله إلى الكويت «وعلى وجه التحديد منطقة السالمية» حارس بناية فإن أصوات أحلامه كانت تنتهى بكلمات متداخلة عن الشقق، وأرقامها، عن السكان، والزبالة، والخادمات، عن المدامات اللواتى لا يكففن عن التذمر، سيارتى وسخة، من خدش السيارة، لم لم تطلع لتأخذ الزبالة، لكن كل تلك الشكاوى «التى كانت تبدو مرة ساعتها» بدت الآن حلما بعيد المنال، اشتاق لو أن المدام سعاد، المدام سعاد بالذات، لأن كفها عريضة، لو أنها صفعته على خده فألقت به فوق برميل القمامة.

٣- فاطمة محمد، كوافيرة:

شوهت النيران وجه فاطمة حتى أنها لم تعد تستطيع النظر «هى نفسها» إلى هذا الوجه المجعد، فبدا أن كل شئ فى حياتها قد انتهى، الحلم بجمع أكبر قدر من المال من محل الكوافير الذى تستأجره من إحدى الكويتيات، لتتمكن من العودة إلى مصر وافتتاح محل كوافير، فى منطقة راقية «المهندسين على وجه التحديد» هذا الحلم قد انتهى تماماً، إلا إذا حدثت معجزة، وتمكنت من فتح المحل، واستئجار كوافيرات للعمل معها، لكن ما استطاعت ادخاره لا يكفى ربما لاستئجار محل فى بولاق الدكرور، وماذا فى بولاق الدكرور، بنات بولاق الآن يعملن فى البنوك والأوتيلات، فى محلات كانتاكى وهارديز، وأقلهن تعمل مربية

fb/mashro3pdf

أطفال فى بيوت الممثلات ساكنات المهندسين، بنت صباح «مثلا» تعمل عند سناء بدر مربية وتتقاضى ٨٠٠ جنيه، وتذكرت أغنية وردة الجزائرية التى كانت تكررها مرارا، لكنها لم ترددها منذ الحادثة «خليك هنا بلاش تسافر» وأحست برغبة حقيقية فى الغناء، لكنها خشيت من أن يظن ابنها صلاح أنها ربما تكون قد جنّت، لكنها، على أية حال، أحست بفرح داخلى غريب، وقامت «كالمجنونة فعلا» وأخذت تلملم حاجياتها وقد قررت أن تسافر عائدة، الآن لو أمكن، وتذهب لبولاق الدكرور، إلى بيتها الذى هناك، وسوف تجد محلا رخيصا، وبما أن عندها أغلب الأدوات، فإن كل شئ يمكن أن يحل، ستجد شريكا، أو حلا آخر، كان تبيع مصاغها، وحتى كل تلك الأدوات التى يمكن أن تعوضها من المحل، الثلاجة والتليفزيون ٢٢ بوصة الملون ماركة ناشيونال، وكل تلك الأوانى والأباجورات التى اشترتها وخزنتها فى بيتها هناك فى بولاق الدكرور، وجاء ابنها صلاح فوجدها فى هذه الحال، فإذا بها تأمره بأن يلملم أشياءه، سنعود إلى مصر، سنعود حتى لو أمكن مساء اليوم، صلاح بدوره غمرته موجة فرح، سيذهب إلى بولاق ليلعب فى الشارع مع أقرانه، سيلعب كل الألعاب التى يحبها، فليس هناك مثل هذا الحر الذى يمنع الأطفال من اللعب فى الشارع، وراحت تغلق الحقائب واحدة بعد الأخرى، وسّبت وردة الجزائرية وأغنيتها بكلمات بذيئة، فنظر مصطفى إليها وانفجر فى نوبة من الضحك.

٤- مصطفى على، مطرب جوال:

بعد إفاقته من الغيبوبة مباشرة، وبمجرد أن استطاع فتح فمه، وبعد أول وجبة طعام أكلها بشكل شبه طبيعى «أى استعمل فيها يديه وأسنانه، وليس عن طريق المحاليل» حاول أن يعود لترديد أغانى عبدالحليم حافظ، لكنه فجأة أحس بأنه قد نسيها جميعاً، وهو الذى لم يكن يفعل شيئاً آخر بنفس إخلاص ترديده لأغانى

fb/mashro3pdf

العندليب الأسمر، هو الذى كان يرتدى ملابس تشبه ملابس المغنى الشهير، ويقص شعره بنفس طريقته ويحاول طوال الوقت أن يكون نحيلا كما كان عبدالحليم، بل إنه، وبمرور الأيام، استطاع أن يقلده فى مشيته، ويعبر بوجهه، الذى اكتسب نفس شحوب وجه المطرب الراحل، عن الألم المبرح الذى راح يعانيه طوال حياته، هذا الشاب الذي كان على هذا القدر من الإخلاص، فجأة، وبعد افاقته من الغيبوبة يجد شريط دماغه وقد مسح تماماً من أى أغنية، حتى تلك التى كان قد رددها آلاف المرات.

قام فزعا، كالمجنون تماماً، وراح يبحث عن المجلد الذى خط بيده فيه كل أعمال عبدالحليم، حتى وجده «وقد ظن للحظات، أنه ربما فقده هو أيضاً»، لكنه، والحمد لله، وجده فى مكانه، تحت الفراش، من ناحية الوسادة، كما كان فى مكانه، هنا، دوماً، وفتحه على عجل، فوجد الأغانى مكتوبة بخط يده، ولم تمسح، كما مسحت من رأسه، فأمسك بالمجلد بيد، وضم يده على فمه وقبض عليه بقوة، أنا ضعت، ضعت تماماً، كيف لى الآن أن...، لكن هذا لا يمكن، لا يمكن، أن ، طيب، حاول، ووجد أنه من الممكن، لو أنه، قام وارتدى ملابس عبدالحليم، ولو أنه سبسب شعره بطريقة العندليب «أى أنه لو عاد كما كان قبل الحادث» فربما استعاد الأغانى فى ذاكرته، ربما عادت إلى ذهنه وإنسابت بنفس السهولة التى كانت تنساب بها من قبل، وهكذا فهل..، قام وارتدى ملابسه الكاملة، بما فيها الكارفات العريض، وجاكيت البذلة ذات الكول العريض أيضاً، تلك التى يفصلها خصيصا عند آخر ترزى يمكنه أن يقوم بتفصيل مثل هذا الموديل فى منطقة السيدة زينب كلها، ووضع الفازلين فى شعره، ومشطه بنفس الطريقة، ورأى نفسه فى المرآة، فوجد أنه قد استعاد هيئته، هيئة حليم الكاملة، وفتح نوافذ غرفته المطلة على ميدان حوالىّ، وراح يفرك يديه، ويتنحنح، لكنه تذكر أنه ربما يساعده

fb/mashro3pdf

كوب من اليانسون، وهذا ما فعل بالضبط، ذهب إلى المطبخ وعمل كوبا من اليانسون، رشفه بنفس الطريقة التى كان يرشف بها حليم كوب اليانسون، وبعد أن انتهي، وقف فى وسط الغرفة، وها، حاول، لكنه لم يستطع، لم يجد أى شئ، فيه...، فى ذاكرته، أم نفسه؟، فى روحه أم فؤاده؟، ليس هناك أى شئ، حتى ولو مجرد اللحن، لا الكلمات ولا اللحن، ضاعت كل تلك الأغانى التى كان قد رددها آلاف المرات، لا بين نفسه ومعها، بل فى مئات المقاهى، وعشرات المطاعم، فى آلاف الحفلات التى اقامها فى البيوت، والديوانيات، وفى المخيمات أيضاً، لم يبق منها أى شئ، مسحت تماماً من رأسه.

أمسك بالمجلد وفتحه: «موعود بالعذاب، يا قلبى»، طيب، كيف كان اللحن، أين هى النغمة؟ أين بقية الكلام؟

طارت؟

كل شئ طار،

لا،

الحياة إذن لا تستحق أن تعاش،

وقام فعلا وجاء بالموسى، وقطع شرايين يده اليسرى، وتأكد من أن الدم يسيل، وتمدد على الفراش وهو فى كامل مظهر العندليب: الأفضل أن أنتهى وأنا هنا، وهكذا، فى هذا المظهر، لأننى لا أستطيع أن أحتمل الفضيحة.

٥- على حماده، سائق خاص:

على غير ما كان يخشى فإن إصابة على حمادة جعلت مستخدمه «أبو فهد» يوليه عناية أكبر كثيراً من تلك التى كان يوليها له قبل الإصابة، تلك التى ذهبت بعضوه الذكرى فأعجزته، ولم يعد له سوى ماسورة مقطوعة من الجلد، تمكنه بالكاد من التبول، رعاه حتى خرج من المستشفى، «حتى بدا وكأن على قد رأى

fb/mashro3pdf

الفرح فى عينيه»، طبعاً لأن السائق الخاص، فى أى بيت، كان مثار شك صاحب البيت، خاصة إذا كان فى البيت فتيات مراهقات، ونساء متروكات أغلب الوقت «ضمنهن طاهية فلبينية لا بأس بمؤخرتها، وخادمة سريلانكية تود أى رجل »، يقوم السائق بتوصيلهن، هنا وهناك، الأمر الذى يجعل من رجل مخصى نموذجا فريدا يتمنى أى رجل، يعول مثل هذا العدد من النساء، أن يحظى به، ليكون مطمئنا، تمام الاطمئنان، على نسائه، حتى من أى غواية تدور فى نفس هذه أو تلك، لأن أى امرأة وفتاة، وبمجرد أن تعرف بأن هذا الرجل مخصى، فإنها ستستبعده حتى من خيالها، هكذا حتى من الخيال؟، الأمر الذى تأكد لعلى وهو يسمع أبوفهد وهو يردد بصوت مسموع لساكنات البيت «ابنتيه المراهقتين وزوجته والطاهية والخادمة» بأن على قد أصيب «المسكين» وأصبح مخصيا، وشرح للبنات الموضوع بالتفصيل، وانتهى من الموضوع، ثم عاد وأكد لعلى بأن عمله محفوظ، وأنه لن يتخلى عنه بسبب هذه الإصابة، بل إنه منحه علاوة حتى لا يفكر فى ترك خدمته، وأرسل إليه، مع الخادمة السيلانكية بندرانيكا بجهاز تليفزيون ملون، بدلا من الأسود والأبيض الذى كان عنده فى غرفة السائق الملحقة بالبيت من الخلف، حتى أن على استغرب قدوم باندرانيكا إلى غرفته، وجرأتها فى الدخول إلي عمق الغرفة، وهى التى لم يكن مسموحا لها من قبل الاقتراب منها، بل إنها كانت تنادى عليه وهى واقفة على السلم الخلفى دون أن تجرؤ على نزول الدرجات المؤدية إلى المحلق، فقال على: سبحان مغير الأحوال، لكنه، على أى حال، اطمئن على أن مستقبله أضحى مضمونا، حتى ولو كان الحادثة قد أصابته فى مقتل.

٦- سلوى، ممرضة:

فى الظاهر، من الظاهر، لا يمكن رؤية أى أثر للحادث فى جسد سلوى الممرضة فى مستشفى مبارك الكبير، لكنها أصيبت فى جسدها من الداخل

fb/mashro3pdf

إصابات بالغة جراء حروق أكلت جزءاً كبيراً من فخذيها وخلفيتها إلي ما بعد صرتها ببضع سنتميترات، وهى لأنها ممرضة فى مستشفى مبارك الكبير، خدمت هنا عشر سنوات كاملة، فقد خصص لها الأطباء، وأغلبهم مصريون، غرفة خاصة بها، وأولوها عناية فائقة، لكنها سمعت أنها وبمجرد انتهاء علاجها سيتم منحها مكافأة نهاية الخدمة، مما يعنى أنها ستعود إلى مصر، وأنها لن تستطيع ممارسة عملها، كممرضة، بعد الآن، لذا، فإنها اشترت آلة حاسبة صغيرة، وكراسة، وقلما، وراحت تشغل وقتها بحساب ما ستخرج به من أموال، من عملها، ثم أنها راحت تحسب المصاريف الضرورية التى سيكون عليها انفاقها لترتيب حياتها الجديدة، سيكون بإمكانها الحركة، لكن ليس كما كانت، سيكون بإمكانها العمل، لكن ربما ليس نفس العمل، سيكون بإمكانها العودة إلى زوجها وأولادها الثلاثة الذين تركتهم مع زوجها، لكنه لن يكون بإمكانها أن تعود زوجة كاملة أو أما خالصة، سيكون، عليها أن تتدبر أمورها بطريقة مختلفة، وأنها من الممكن، بالاستعانة بملكة الصبر، التى تعلمتها من مهنتها كممرضة طوال سبعة عشر عاماً، تداوى الجرحى وتأخذ بيد المتألمين، تسند الغائب عن الوعى، وتحمل الجثة بعد موت صاحبها، سيكون عليها، وهى التى عرفت بالصبر أن تستدعى أكبر قدر من الحلم وتستعين به كى تستمر فى الحياة، وهى، على أى حال، لن تفكر، مجرد التفكير، فى أية عواقب، وسيكفيها، ربما، أن ترى أبناءها وهم يكبرون، ويحصلون على شهاداتهم، أن يتزوجوا وينجبوا أطفالا، وتصبح جدة تداعب أحفادها وتضحك فى وجوههم، سيكون عليها أن تجد حلا لزوجها، ربما زوجة تنتخبها هى بنفسها، تختارها له من بين معارفها، على أساس أنها تحب هذا الرجل، وأنه بالإمكان أن تقبل وضع الزوجة السابقة، ولأن هذا سيحدث بمحض اختيارها، وأنها هى التى ستدبر الموضوع، فلن يكون مؤلماً كما لو حدث بشكل آخر، بالشكل الذى يحدث

fb/mashro3pdf

عادة حين لا تصبح المرأة قادرة على أن تكون زوجة تلبى رغبات الرجل المعتادة، نعم، ستقوم هى بذلك.

لكنها فكرت فى كل النساء المحيطات بها، فلم تجد امرأة يمكنها أن تتعايش معها وهى على هذا النحو، فكرت فى قريباتها ومعارفها فلم تجد، فقالت، لكننى لابد أن أجد امرأة لزوجى، بدلا من أن يقوم هو بذلك، لأنه سيكون عليها، فى هذه الحال، أن تنام كل ليلة ودمعتها على خديها.

٧- صلاح والى، كهربائى:

لم يصب صلاح والى بأى شئ جراء الحادث، حتى ولو خدش صغير فى يده وبالضبط كما حدث لاستاذ الجامعة فى حادث الطائرة ، ساعتها، بعد الدوى الكبير، وبعد تناثر الاشلاء وجوانب المركبة، الكراسى، والحقائب، الإطارات والقوائم واشتعال الحريق الذى انتهى بصوت الدوى ذاك، قام من الأرض، ونفض الغبار عن ملابسه وراح يتحسس جسده، فلم يجد أى أثر، فى الوقت الذى نظر حوله فوجد أشلاء متناثرة، وأجساما تشتعل فيها النيران، فأحس بالهول، لذا لم يصدق أنه لم يصب بأي خدش، وانتهز فرصة وجود أول دورة مياه دخلها، وبسرعة خلع ملابسه ووقف عاريا يتطلع إلى جسده، يتحسس أعضاءه عضوا عضوا، فلم يجد أى شئ، لكنه راح فى دهشة لازمته منذ تلك اللحظة ولم تفارقه حتى الآن، وبطريقة لا إرادية كان يتحسس يده، أو قدمه، ساقه أو فخذه، ليتأكد، ولا يجد شيئاً، لكن تلك الدهشة ظلت فى نفسه، حتى أنه فكر فى الذهاب إلى طبيب، ليخلصه من هذه الحال، ولأنه وجد الجميع يشكون من الأطباء، راح يقاوم هذه الرغبة، وظل حيران، بين رغبته فى الذهاب إلي الطبيب، وخوفه من ذلك، وبين دهشته التى بدا أنها تتمكن منه كل يوم، أكثر من اليوم السابق، فوجد أن لا حل أمامه سوى الكلام.

fb/mashro3pdf

أن يتكلم مع كل شخص يراه، فى كل بيت يدخله لإصلاح الأباجورة، أو تركيب جهاز، أو مد الأسلاك، أنا على فكرة كنت فى هذه الحادثة، أنا كنت فى الأتوبيس الذى انفجر بعد دخوله الحدود الكويتية بلحظات، بعد أن أجرينا التفتيش، وكل شئ، أى والله، ألا تصدقينى، والله يا مدام أنا كنت معهم، ورأيت الهوايل، رأيت، يا ساتر الأرجل، وحتى الرؤوس، بعض الرؤوس، وكل ذلك، رأيته بنفسى، ورحنا نشيل الجثث، وذلك، ولكن الحمد لله، تصورى، تصور، لم أصب حتى ولو بخدش، الحمد لله، أنا لى أولاد ينتظرونني فى مصر، لي أولاد، وزوجة، ربما أن الله نجانى من أجلهم، الحمد لله، وغير مصدق حتى الآن أننى لم أصب بأى شئ، وحتى ولو بخدش صغير، حتى أننى رأيت الغيرة «أو هل أقول الحقد» فى عيون المصابين الذين ذهبت لزيارتهم فى المستشفى، رأيت.. سبحان الله، هذه إرادة الله، الله أراد ذلك، لكن الحمد لله.

لكنه وبمجرد أن ينفرد بنفسه يجد نفسه وقد عاودته الدهشة، فيقف ويخلع ملابسه ليتأكد من أنه فعلا لم يصب بأى خدش، حتى أنه فكر فى جرح نفسه، لكنه لم يجرؤ.

fb/mashro3pdf

(باب)
فى
ثياب المصور

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

عيناك تخترقان الحجب والملابس
،تنشن، علي الأماكن الحساسة،
أنت خطر جدا
عيناك تجعلانني أرتعش

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

تذكرتك يانهى الآن على الرغم من أننى لم أفكر فيك كثيراً طوال الشهور الماضية، تذكرت أنك قلت لى شيئاً عن عينى، يا ساتر، أنت لا تفوت شيئاً، يا ساتر، عيناك تخترقان الملابس، تنشن على الأماكن الحساسة، أنتِ خطر جداً، عيناك تجعلاننى أرتعش.

قلت إذن لابد أن تكون لدى موهبة فطرية فى التقاط الصور، لم لا أستغل هذه الموهبة وأعمل لنفسى هواية أستطيع ممارستها، أتدفأ بها، تشغلنى وأشغلها، سأشترى كاميرا وعدسات متنوعة الأحجام، وسأكتب لك يا نهى، سأقول لك: أنت منحت حياتى معنى، بحيث يمكننى القول أنه أصبح لدى حياة جديدة.

صحيح أننى قد أبدو متخلفا عن العصر الذى أصبح فيه الفيديو هو الأساس، إنما يكفينى اللجوء إلى كاميرا فوتوغرافية جيدة لأمارس بها هوايتى التى اكتشفتها من ملاحظة نهى، على الرغم من أن وجهها هو الذي نفرنى منها، فهو من النوع الذى يمكنك أن تنظر إليه من بعيد فتراه جميلا، لكنه ما أن يقترب منك حتى تصاب بصدمة ولا تستطيع إطالة النظر، إنها كما يقولون ليست «فوتو جينك» على الإطلاق، مع أنها لا يمكن أن توصف بالقبح، من يعرف، خاصة شفتيها، ربما هذا شئ فى الروح.

وسيكون هذا رائعاً لأننى سأستطيع تسجيل الحوادث والناس، سيكون لدىّ ذكريات أحتفظ بها، ليتنى فعلت هذا منذ وصولى، فرحلة الصحراء مرت دون تسجيل، لم أعرف لم لم يحضر أحدهم كاميرا، ربما بسبب وجود نساء، وربما كان هذا ممنوعا، ربما تمنعه التقاليد.

سأذهب بعد انتهاء العمل للسوق، لن أعود دون كاميرا.

(ف)

كان البائع الهندى رائعاً يا نهى، أجلسنى على كرسى وجلس قبالتى وطلب أن أشرح له رغبتى ليعرض علىّ بعض الحلول، حكيت له الحكاية، ورغبتى في أن تكون لى هواية جديدة، وكل ذلك الكلام.

fb/mashro3pdf

قال لى إن اسمه جورج وأن لديه كاميرا فاخرة ، ماركة «لايكا» موديل ١٩٥٧ تعد تحفة لأنها مرقمة ، ولكن لاينصح بها لأنها غالية الثمن ، كما أن لديه واحدة ماركة «كانون» ، لكنه قال إنه يظن ، أن المناسب لحالتى هى هذه الكاميرا ماركة «رولى فلكس» ، مع ثلاث عدسات ، واحدة وايد أنجل ، والثانية ٧٠ ، والثالثة ٢٠٠ زووم ، للقطات البعيدة ، وكانت هناك حقيبة جلدية فاخرة مبطنة بالجوخ الأخضر، وخرجت من المحل وأنا سعيد ، سعيد جدا ، فقلت فى نفسى ، هناك إذن أشياء يمكنها أن تجعل المرء سعيدا ، على الأقل فى بكارة اللقاء مع الرغبة ، كما يكون العشق فى الأيام الأولى ، أذكر أننى حين رأيتك يا نهى من النافذة رأيت فيك كل ما تمنيت فى فتاة جميلة ، كانت الرعشة تغمرنى كلى من الداخل والخارج وعيناك كانتا ، وأنت تتطلعين إلىّ من نافذة المطبخ الذى كنت أطل عليه من نافذة حمامى، تشعان ببريق الـ ماذا ؟ كيف يمكننى أن أصف ذلك ؟ ، وأن أول لقاء كان يفيض بالمشاعر ، وكنت بعدها ألقاك وكلى شوق ، حتى رحت تتحدثين .

ما أن فتحت فمك ، خاصة حين تكلمت عن المستقبل الذى تبغيه من علاقتنا ، منى ومن الأولاد وهلم جرا ، راح شىء منـ لا أقدر أن أسميه ، يظهر على ملامحك ، حتى رأيت أننى لابد وأن أركض هاربا من مصير رجل مدجن ، تضمينه فى كفك الذى بدا خشنا للغاية .

(طبعا لايمكننى أن أقول لها ذلك فى الرسالة التى سأرسلها . طبعا) .

لابد يا نهى أن أسجل (كتابة) اللقطات التى سأعمل على التقاطها حتى أكون على بينة من أمرى ، طبعا من الممكن أن لا أوفق فى التقاط بعضها ، لكن هذا لن يغّير من أهمية هذه القائمة حتى لا أتوه ، حتى يكون لدىّ دليل واضح للعمل ، وما أجمل الخيال على كل حال .

fb/mashro3pdf

- صورة حريق -

أحد بيوت خيطان التى يسكنها الصعايدة ، عمال اليومية الذين جاءت بهم عصابات تجار الرقيق الأبيض (من الكويتيين والمصريين) باع البعض منهم ماشيته أو مصاغ زوجته (إن وجد) وربما قيراطى الأرض اللذين ورثهما عن أجداده ، ليوفر مبلغ الخمسة عشر ألف جنيه التى طلبها مدير مكتب التسفير ، مقابل الإقامة ، وعقد وهمى ، ما أن يصل الواحد منهم للكويت ، حتى يجد نفسه دون عمل ، يجد نفسه فى خيطان ، يبحث عن بلدياته، وسيكون سعيد الحظ لو وجد واحدا منهم ، وتبدأ المعاناة .

من الإهمال ، وضياع الخلق ، يمكن أن يحدث أى شىء ، الحريق المتكرر أمر اعتيادى فى هذه البيوت .

سأتربص بحريق كبير يلتهم البيت بما فيه ومن فيه ، لأسجل لقطة العصر ، الأجسام المشوية تصارع النار .

- انتحار الخادمة -

هذه أيضا حادثة تتكرر مرة كل شهر تقريبا ، خادمة سيريلانكية أو هندية أو فليبينية ، يضيق عليها الخناق بعد أن تحس بالجنين ينمو فى أحشائها ، رجل البيت السكران ، أو الشاب المتهور بعد جرعة معتبرة من الكوكايين ، يجبرها على النوم تحته ، ويفعل فعلته .

مع اليأس ، والخوف ، والضرب الذى تصطليه من أم أو زوجة قاسية لاتجد الخادمة مفرا من القفز من الشرفة ، أو الشباك ، فتسقط جثة هامدة .

سأكون محظوظا جدا يا ولاء ، أقصد يا نهى لو صادفت هذه اللقطة : الجسد وهو يرفرف فى الهواء ، فى منتصف المسافة بين الشرفة والأرض ، أرفع الكاميرا عاليا وأصطاد الصورة المحلقة .

fb/mashro3pdf

- عصابة المهربين -

مجموعة من الوجوه الكالحة بعيون زائغة : من مصريين على إيرانيين على باكستانيين على كويتيين ينظرون إلى اللا شيء ، ضبطهم البوليس بعد مطاردات مضنية ، ترى آثار الهزال على وجوههم ربما من شدة الادمان ، وأكوام من لفافات «طرب» الحشيش المضبوط أمامهم على الطاولة . تك ترك .

- أبو محمود -

أحس بالندم لأننى لم أكن أمتلك كاميرا لألتقط صورة هذا الكويتى الطيب يوم أن ذهبنا إلى البر .

كان يضحك وفى حالة مرح لا يوصف ، لا ، لا يا نهى ليس لأنه رب عملى أقول ذلك ، بل لأنه فعلا رجل بدوى أصيل وطيب ، سترين صورته وتتأكدين من كلامى ، وسيحب طبعا أن ألتقط صورته وهو يعد رزم الدنانير أمامه على المكتب ، سيحب ذلك ، لأنه يحب أن يجهر بنعم الله عليه . ستكون لقطة رائعة لابد أنها ستثير خيال كل من يراها فى مصر ، وأظن أنه يريد أن يفور هذا الخيال فى كل الدنيا .

- ط . ك -

كنت أعرف هذا الرجل ، لأنه كان دائما ما يسافر إلى مصر ويحضر قبلها ليسألنى إن كنت أريد أن أحمله رسائل لأهلى ، فكرت مرة أن أرسل معه رسالة لضحى لكننى خفت أن يكون هذا كمينا (تعرفين يا ضحى حساسية الموضوع) لكنه على أية حال وبسبب زيجاته العديدة اضطر لكتابة شيك بدون رصيد ، فحكم عليه بالحبس سنتين مع الشغل والنفاذ وإبعاده عن البلاد .

كيف يمكن إبعاد مواطن كويتى عن بلده ؟

يقال إنه ربما يكون بسبب أن مادة جنسيته هى الرابعة .

لكن وزير الداخلية نفى إمكانية تنفيذ هذا الإبعاد .

fb/mashro3pdf

المهم فى الموضوع ، وهو ما يجعلنى أضعه فى قائمة الصور التى أتخيلها ، ليس أى شىء يتعلق بقضيته ، بل لأنه رجل ضاحك .

لم أر يا نهى فى حياتى رجلا يضحك كل هذا الضحك ، حتى أننى أجزم بأننى لم أره أى مرة إلا وهو يضحك حتى لتكاد وجنتاه أن تنفجرا .

- صورة المول -

بالنسبة لبلد صغير الحجم ، هنا يا نهى عدد رهيب من المراكز التجارية الضخمة ، لكن كلها كوم ومركز سوق شرق كوم آخر ، سوق شرق لايتمتع بميزة احتوائه على أفخر الماركات العالمية (الأمريكية والإنجليزية بالأساس) لكن موقعه على شاطىء الخليج يجعل صورته ، خاصة فى الغروب ، لقطة من الأحلام .

- صورة مكتب -

نعم ، صورة مكتب تمت برشمته بالشمع الأحمر ، كنت سأكون ضحيته ، طلبنى صاحبه للعمل عنده فترة ما بعد الدوام ، أحسست بأنه يريد أن يستغلنى ، وأننى لست فى حاجة إلى كل هذا الإرهاق ، فيكفينى ما أقوم به فى عملى ، وفى صباح الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٩٦ نشرت الصحف خبر إغلاق المكتب مع ثلاثة وثلاثين مؤسسة خاصة لقيامها بإعداد البحوث العلمية وبيعها لطلاب الجامعة نظير مبالغ مالية .

صدر قرار الإغلاق فور الانتهاء من حملة تفتيشية مكثفة قام بها مفتشو وزارة التجارة وشملت عددا من المكتبات والمؤسسات الفردية والمكاتب التى يشتبه فى قيامها بهذا العمل المحظور فى الكويت ، نظير مبالغ يتم الاتفاق عليها بين المؤسسة والطلاب الجامعيين وفقا لطبيعة البحث وموضوعه وعدد صفحاته .

جاء هذا الإجراء عقب قيام الوزارة بتنفيذ مسح شامل لجميع محافظات الكويت ، رصد خلاله عدد من المكاتب التى تتولى إجراء البحث بنفسها مقابل أجر

fb/mashro3pdf

يتراوح بين دينار وثلاثة دنانير للصفحة الواحدة ، وقد يرتفع فى بعض الحالات إلى ستين دينارا ، إضافة إلى مكاتب ومؤسسات أخرى تقوم بدور الوسيط بين الطالب والباحث الحقيقى ، نظير عمولة محددة ، إلى جانب السعر المطلوب لإنجاز البحث .

- صورة شاعر -

بعض شعراء النبط هنا يا نهى نجوم تتسابق الفتيات على التعلق بهم ، وإذا كان من حظ الشاعر أن يكون وسيما فإنه يصبح موضوع صراع يصل إلى حد الاقتتال ، واحد من هؤلاء هو حمد البغيلى ، تعالى وشاهديه حين يلقى أشعاره فى هذاالمكان أو ذاك ، فقبل أن يحضر بساعات تمتلىء القاعة عن بكرة أبيها ، تغص بآلاف الشباب (وفى بعض الأماكن ، كالنوادى والمسارح ، يمكن للفتيات الحضور أيضا) عندئذ تصل المسألة إلى حد المعمعة :

صراخ يدوى ، وتلويح بالمناديل الملونة ، وأوراق صغيرة عليها أرقام التلفونات تتطاير فى السماء لتسقط على الرؤوس .

معمعة يعنى .

هذه صورة لن تفوتنى بأى حال ، سألتقطها حتى ولو كلفتنى عشرة دنانير قيمة تذكرة الحضور . - صورة للشاعر النبطى حمد البغيلى وآلاف المستمعين يتابعونه بشوق وفى الخلفية آلاف الفتيات من عشاق شعره يتأوهن .

- سباق الهجن -

يصر جانب كبير من الكويتيين على التمسك بمظاهر البداوة تأكيدا على الوجود ، والتعلق بالتراث ، بعض هؤلاء حتى يصر على إقامة بيت من الشعر فى حديقة الفيلا ، وبعضهم يقيم ديوانيته على هيئة خيمة بجوار البيت ، ويصر هؤلاء على إقامة سباق الهجن الكبير كل عام ، حيث يحتشد المتحمسون على جوانب

fb/mashro3pdf

مضمار السباق بالآلاف ، وتنقلب الدنيا حين يفوز هذا البعير أو ذاك ، ألن تكون صورة هذا المهرجان صورة رائعة ؟

- حصان بعرف أشقر -

مادمت سألتقط صورة سباق الهجن فلابد من صورة مضادة لسباق الخيل ، وهذا يقيمه أهل الحضر كإثبات للوجود أيضا ، أو هكذا فهمت ، هنا خيول غاية فى الجمال ، لو كان لى أن أحلم بما هو فوق الخيال ، فإننى أحلم فعلا بامتلاك أحد هذه الخيول الجميلة ، ليته يكون بلون بنى غامق وعرف أشقر الشعر ، سأدعك يا نهى تلعبين به فوق المروج الخضر .

- مظاهرة نسائية -

بين الوقت والآخر نسمع عن مظاهرة نسائية ، نذهب لنرى فنشاهد مسيرة صغيرة لنساء (بعضهن منقبات ، والبعض الآخر محجبات ، والبعض يلبسن ملابس عصرية على آخر موضة) تتقدمهن الدكتورة رشا الصباح ، وفوزية الخرافى مديرة جامعة الكويت ، ويرفعن اللافتات التى تطالب بحق الانتخاب والترشيح ، هل تتصورين يا ضحى أن مديرة الجامعة ليس من حقها أن تنتخب ولا حتى أعضاء المجلس البلدى ؟ مع إن أى شغالة فى مصر من حقها أن تدلى بصوتها وتنتخب وحتى تتقدم لترشيح نفسها ، صحيح أن عندنا فهلوة وألاعيب ، لكن مديرة الجامعة ، مديرة الجامعة سوء . سوء .

لابد أن ألتقط هذه الصورة بأى شكل ، حتى ولو اقتضى الأمر أن أبيت ليلى أمام مجلس الأمة ، إلى حيث تنتهى المظاهرة ، وربما لقطة أخرى للملتحين وهم ينظرون ساخرين من نوافذ المجلس ، هؤلاء الذين أسقطوا قرار الأمير بإعطاء المرأة حقوقها وراحوا يخيفون الناس بالجحيم (الغريب فى الأمر يا ضحى أن كثيرات من النساء يعارضن إعطاء المرأة حقوقها) كما لو كنا فى بلاد واق الواق،

fb/mashro3pdf

على الرغم من أنك تجدين فتيات يرتدين المنى جيب ، ويتمخطرن فى سوق شرق الفخم .

- المتسولون -

نشرت الصحف اليوم يا نهى خبرا غريبا ، أقول غريبا لأننى أولا لم أكن أعرف أن هناك متسولين فى الكويت ، وثانيا لأنه إذا كان هناك متسولون فهذا لابد يعنى أن هؤلاء محتاجون ، فكيف يمكن أن يكون هناك محتاجين فى بلد من هذه البلاد ؟

ثم أن الأمر أقسى من ذلك ، إذ أن العقوبة ساخنة أف . أح . نار ، ن .

كتب : ز . أ :

لم يعد التسول فى الكويت «مهنة» يمكن غض النظر عنها بعد أن تزايدت الشكوى من انتشار عدد محترفيها فى شوارع وأسواق العاصمة التجارية ، وقيام البعض الآخر بالتجوال فى المناطق السكنية ، للدرجة التى أثارت قلقا لدى الأهالى والمسئولين أيضا .

وللحد من هذه «الظاهرة» تقدمت الحكومة بمشروع قانون إلى مجلس الأمة لتجريم التسول وإنزال عقوبات تصل إلى السجن لمدة عام كامل وغرامات مالية لاتتجاوز ١٠٠٠ دينار (٣٣٠ دولار) بحق من يتم ضبطه أثناء ممارسة التسول أو لمن يحض عليه .

وحدد مشروع القانون عقوبة لاتتجاوز ٥٠٠ دينار أو السجن لستة أشهر لكل من أغرى شخصا أو استخدم حدثا أو سلمه لآخر بغرض التسول ، وتتضاعف العقوبة على كل من كان وليا أو وصيا على حدث واستخدمه أو سلمه لآخرين بغرض توجيهه نحو القيام بالتسول .

مشروع القانون عرف التسول بأنه يشمل «العمل على استعطاف الناس فى مكان عام أو فى محلات إقامتهم أو أعمالهم أو تجمعاتهم ، وكذلك استغلال

fb/mashro3pdf

الشخص لعاهة حقيقية فيه أو إصابة أو مرض أو قيامه باصطناع ذلك بنفسه لأجل استدرار عطف الناس بهدف الحصول على مال أو عطية من أى نوع كان» .

أعتقد أن اللقطة المهمة فى الموضوع ستكون ساعة إجراء جراحة لقطع طرف من أطراف الشخص مشروع المتسول فى إحدى العيادات التى تعمل فى الظلام .

مسألة صعبة لكن يمكن الوصول إليها ببذل بعض الجهد .

- مخنثون من آسيا -

كنت أسير فى الطريق فإذا بمجموعة من الفتيات يتمخطرن على تلتوار الطريق بطريقة فيها الكثير من الاستعراض ، دخلن السوبر ماركت القريب من منزلى فدخلت خلفهن ، ما أن استدرن حتى فوجئت بأنهن مجموعة من الشبان المخنثين ، ضحك البائع الهندى فى وجهى وشرح لى الأمر « ربما ليدارى على خجلى لأنه بدا وكأنه كشفنى وأنا متلبس بمراقبتهن» قال أنهن يسكن فى المبنى المواجه للسوبر ماركت ، وقد يتسبب وجودهن فى مشاكل لا حصر لها .

البائع الهندى الذى كان اسمه مصطفى قال بأن الدنيا أصبحت عجيبة .

إنها عجيبة فعلا يا نهى .

هل سأتمكن من التقاط هذه الصورة دون متاعب ؟

- صورة مركب البوم -

أحد رجال الأعمال أراد تخليد ذكرى أجداده التجار من أهل الحضر وهؤلاء كانوا يتاجرون عبر البحر فصنع مركبا ضخما على هيئة خاصة يسمونها هنا «البوم» كلف صاحبه خمسة ملايين دينار واستغرق العمل فيه خمس سنوات ، وجاء بأخشابه من أفريقيا ، والمعدات والصناع من الهند ، وعمل منه مطعما سياحيا ، صورة جميلة لجانب من المكان .

هذه ستروقك أكثر من غيرها يا نهى .

fb/mashro3pdf

- المنقبة -

صورة أتمناها (لو حققتها سأعتبر نفسى حققت معجزة) للمنقبة التى تحل المشاكل العاطفية للبنات فى إحدى المجلات الأسبوعية ، ويقال إنها فى حياتها العادية ترتدى الملابس العادية ، وأنها فاتنة الجمال .

أنا لايعنينى يا نهى جمالها ، إنما السبق فى التقاط صورتها ، ومن يعرف ، ربما اشترتها إحدى الصحف ، بمبلغ كبير من المال ، عندئذ سأشترى لك عقد اللؤلؤ الذى تمنيت أن تقتنيه .

(ف)

أعترف لك الآن يا نهى بأننى نادم أشد الندم على صور عديدة ضاعت منى وكان يمكن أن تكون لها أهمية ربما أكثر من أية لقطة أخرى سابقة .

- صورة لزيارة الرئيس بوش الأب للكويت وآلاف الكويتيين يستقبلونه ملوحين بالإعلام ، مع العلم بأن خيال الناس شرّق وغرّب عن أطنان الذهب التى أهداها الكويتيون للرئيس الأمريكى .

- حرق آلاف زجاجات الويسكى فى الصحراء .

- صورة للرجل الذى باع للجيش أثناء حرب التحرير لفافة الخس بثلاثة دولارات .

- صورة ذلك الرجل الذى طالب فى إحدى الندوات بحرق الكتب التى تحتوى على روايات زعم أنها شبيهة بالروايات الثلاث التى أثارت ضجة فى مصر بعد منعها من التداول .

fb/mashro3pdf

(باب)

فى

ثياب الأيام

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

سأحمل كاميرتى إذن،
وأذهب إلى هناك،
حيث الأسرّة من جذوع الأشجار،
والليل مرصع بالنجوم،
والأكل من العشب الأخضر،
سأذهب إلى هناك إذن
وستكون نزهتى اليومية بين شياطين الأشجار وساحرات الهوا.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(ف)

ما اليوم؟.

لم أعد أهتم ياضحى بمسألة الأيام هذه.

لم يعد هذا يهمنى، لقد اتخذت قرارى بالرحيل إلى هناك، لذا فإنه لم تعد هناك أهمية لهذا، كل ما فى الأمر أننى سأرحل بعد أسبوع من الآن، بعد أن اتخذت قرارى فى هذا الصباح وأنا أجد أنه لم يعد هناك معنى لاستمرارى هنا، لقد اتخذت قرارى، لا فى مسألة بقائى من عدمه، بل فى ما هو أهم من ذلك، أقول ذلك وأنا آسف أشد الأسف لك ياضحى، لن تكون لى تلك التى يسمونها «الأسرة الصغيرة اللطيفة المكونة من زوجة وطفلين» كما لم يعد فى بالى سوى أن أبنى غرفة من الطين فيها أقل القليل من الأشياء، وربما أخترت بقعة صغيرة من ضفة النيل الغربية، بالقرب من مدينة أخناتون، لتشييدها، إذا أمكن، وإذا تعذر ذلك فهناك نيبال، على حافة جبل، فى قلب الغابة، فى ثاميل، حيث طقوس الروح على درب الخلاص.

لقد وضعت احتمالين لحياتى حتى تكون الخيارات أمامى واسعة، ويمكننى عندئذ بلوغ ما أصبحت متيقنا منه.

خيارات حياة واسعة، نعم، لكن يجب أن تكون حياتى نفسها بأقل القليل، في أقل القليل، هذا، حقيقة، ما أرتاح إليه.

◆◆◆

الأيام؟، نعم، فأنا الآن كمن يقرأ فى كتاب أحبه، لذا فإنه لايتوقف أمام الجمل، قد يتوقف عند الفصول، لكن يبقى الفصل الأخير هو الأهم، لم

fb/mashro3pdf

تعد هناك أهمية للساعات إذن، المهم الآن هو هذه الأيام، الأيام السبعة الأخيرة.

كل ما أقصده هنا أن أى ساعة ليست بذات أهمية بقدر أهمية اليوم كله، إذا كانت الأيام قد أضحت محددة سلفا.

◆◆◆

ماذا عن الرسائل، هل ستظل لعبتى الدائمة، خاصة أننى على أى حال لن أعود للقاهرة فى كل الأحوال وسيظل الجميع على مسافة منى سواء كنت هناك على ضفة النيل البعيدة، أو هناك على قمة الجبل فى قلب الغابة، ولم لا، رسائل مستمرة، لاتتوقف عن الدوران، أقصد عن الاستمرار فى النمو، إلى مالا نهاية، ماذا يضر ذلك؟.

المهم أن أتجنب الوقوف عند الساعات، وأهتم بالأيام حتى ينتهى الزمن ويأتى الوقت

وقت الرحيل طبعا.

اليوم هو السبت، وهذا على وجه اليقين، وغدا الأحد، اليوم هو بداية الأسبوع، والسبت القادم بداية أسبوع جديد سأكون عنده فى المكان الجديد، وبإمكانى عندئذ أن أبدأ بداية جديدة حتى ولو اقتضى الأمر أن أنسج قصة جديدة لحياتى كلها أختارها بنفسى، بمحض حريتى، وحتى اسمى نفسه يمكننى تغييره، على الأقل أمام الناس الجدد الذين سألاقيهم، وأظن أن اسم حسن الوزان يروق لى، فلأكن من السبت القادم حسن الوزان وإن كان علىّ أن أفكر فى تبعات هذا الاسم للرحالة المغربى الذى أطلق عليه أهل الغرب ليون الافريقى، فقد

fb/mashro3pdf

تمتع الرجل بقدرات لايتوفر لى أى قدر منها فأنا مجرد كاتب خطابات تجارية مملة فى عملى، وكاتب رسائل لم يكتمل أى منها فى حياتى الأخرى، على الرغم من أننى أحببت فى هذا الوقت أو ذاك من كتبت له أو لها ولم أنه أيا من الرسائل.

الأحد (صباحا) :

يخيل إلىّ أننى لكى أتخلص منها أو منه، أن أنهى رسالته أو رسالتها، وأضعها فى مظروف وألقى بها فى صندوق البريد، أقصد حتى لايظل هذا الأمر عالقا فى نفسى، ويمكننى فى هذه الحال أن أتحرر من هذا الشىء.

ما فكرت فيه إذن بالأمس من عدم إعطاء الموضوع أى أهمية هو أمر قد يجرنى إلى الاستمرار فى الانشغال بما لايجب أن أنشغل به أكثر من اللازم، فالموضوع على أية حال لايعدو إتمام ما بدأت، وأضع النقطة الأخيرة، لا فى كل رسالة على حدة فقط، بل النقطة الأخيرة فى الموضوع كله.

ماذا عن الذين سأتركهم هنا، أفراد الشلة مثلا، وغيرهم، وهذه الأجواء التى علق بعضها بروحى ولاشك، هل سأتركهم للنسيان؟.

أظن أن التفكير فى هذه الأمور المستقبلية سيلحق بى أفدح الضرر، لأترك كل أمر لحينه، هذا أفضل على كل حال.

لا أشك لحظة بأن ما أنا فيه نابع من كونى هنا، وبعيدا عن هناك، هنا حيث تجد نفسك فى معسكر عمل، معسكر عمل ليس إلا، جاف وبارد، وهناك، حيث الروح الملتهبة، المعذبة، المتراقصة فى المسافة بين الوهم والحقيقة، لذا فمن الأفضل أن تعمل كاتب روايات وأنت هناك، لأنك ـ مثلا ـ حين تتمشى فى العصارى من بيتك فى المنيرة، عبر شارع قصرالعينى، مرورا بميدان التحرير إلى

fb/mashro3pdf

باب اللوق، وتجلس هناك على مقهى الحرية، فإنك تلتقى قصصا مجسدة، وترتطم بأجساد تسبح على الأرصفة، وتجد الحيرة، نعم، لكنك تكون قد اختزنت/ امتلأت، بعشرات القصص، عشرات الحكايا.

سأمتهن، إذن، حين أعود، مهنة الكتابة كما هو صديقى عادل على الرغم من أننى لم أجرب ذلك من قبل، لكننى أحس بأن مخزونى يكفى لعدة مجلدات، على الأقل لأتخلص من عذابات نفسى.

◆◆◆

اكتشفت اليوم أن لى أعداء متربصين، أظن أن أحد أهدافهم أن أكف عن النظر بالطريقة التى يخافون من أن تكشف لى أشياء لايودون أن أعرف عنها شيئا.

تصورت لوهلة أشكالهم على هيئة مخلوقات تمتد لحاها حتى الكروش، يخبئون وجوههم فى أقنعة من جلد الماعز ويرتدون فى أفواههم أنيابا تنز بالدم، لكننى وجدت أنه لايمكن أن تكون الصورة على هذا النحو من الفجاجة، لا، إنهم بشر عاديون، مصريون من الطبقة الوسطى، موظفون بيروقراطيون من النوع الذى يبدو للوهلة الأولى أنه... ليس خطرا على أى شخص، وبهذه الهيئة فإنهم يتواجدون فى كل مكان دون أن يلحظهم أحد (إنهم هنا أيضا، ماذا يفعل مدير الحسابات على مصطفى غير توفير كل فلس يمكن اقتطاعه من أى موظف فقير لصالح صاحب العمل؟).

من المؤكد أنهم فى لحظة ما، لحظة بعينها، يتحتم عليهم الإعلان عن أنفسهم فى هيئة مرتبة، سيرتدون الملابس الموحدة ـ اليونوفورم ـ وسيحملون الأسلحة خارجين للجهاد.

لكنهم الآن وقد تعلموا من الدرس تجدهم تجدهم يستعملون ما يسميه أهل

fb/mashro3pdf

المذهب الشيعي: «التقية» أى أنهم هنا وهم ليسوا هنا.

يبدو أننى سأدخل فى مرحلة أخرى من مراحل الدموع، فدون سبب ظاهر، أجد عينى اليسرى تنهمر بالدموع، تنزل منها كصنبور ماء خرب، لايمكن إغلاقه، ففى المرة قبل الماضية، ملأت كوبا كاملا فى إحدى النوبات: ماء أبيض رقراق.

◆◆◆

الأحد (مساء):

لم أستطع يا ليلى.. أف يا ضحى أن أجمع تلك الأصوات التى تناثرت من حولى، لقد راحت تطن فى أذنى بمجرد أن وضعت رأسى على الوسادة لأرتاح بعد يوم العمل الطويل (الآن بدت الأيام أطول مما لو كانت لقطات بطيئة (سلوموشن) فى فيلم مصرى حمضان، كانت الأصوات أكثر مما أحتمل (أظن أن هذه هى المرة الثانية التى بدأت الأصوات فيها تتلبسنى) كانت أقسى مما يحتمله رأسى، كانت أصوات لايمكن التمييز بين أصحابها، كنت كمن هو هائم لايزال ينتظر المواعيد، لكنهم لم يكونوا يتكلمون لغة مفهومة، لا، ولا حتى لغة واحدة، كانت لغات عدة وهو ما ينبىء بالنذير، لم يكونوا يتكلمون، كنت أنا من يتكلم عنهم، لو أننى أردت ياضحى أن أرسم لك صورة للناس الذين رأيتهم فى الرحلة، رحلة الأحلام على ظهر السفينة (هأ، ولا تقل سفينة نوح)، كيف سنصورهم إذن..

أنت فى العادة تنسى الكثير من الوجوه، لكن بعضها لاتنساه أبدا (لايجب أن أنسى من الآن فطالعا أن فى يدى كاميرا)، إننى أحاول جمع الشتات، لكن... يالها من أصوات، رأسى تكاد تنفجر (وكيف لى أن أصور الأصوات؟) إنها هناك..

fb/mashro3pdf

◆◆◆

لمن أكتب اليوم، أقصد هذه الساعة؟.

لضحى أم ولاء؟.

للفتاة العصرية التى تتابع الأخبار وتلم نفسها فى تايير معتدل الطول، وتتحدث بحساب كلما أمكن (حتى الضحك بحساب) تعمل لأنه لابد أن تعمل، وأنه لا حل أمامها سوى العمل، ولأنها تخاف الأيام فإنها تتشبث بعملها، فلا أمان هناك، ومن الممكن أن لاتجد الرفيق الدائم، وربما هى كذلك تفكر أيضا أنها، مع الأيام، تفقد أنوثتها شيئا فشيئا، وإن كانت تحاول، بينها وبين نفسها، أن لايحدث ذلك، فتهتم بانتقاء ملابس داخلية مثيرة، وتهتم بيديها فتدهنهما كل مساء بالكريم، ولاتفوت ذراعيها وساقيها وقدميها وحتى ركبتيها، وتعتنى بشعرها بقدر ما تستطيع كى تقيه الشمس والحر والغبار ودخان السجائر والعربات.

لكننى أظن أننى سأصاب معها بالبرد بعد قليل من الوقت، سيأتينى البرد ويسكننى، سأحاول أن أتجنبها، أتوقف عن الكلام معها، أم أكتب لولاء التى لايهمها سوى مزاجها، أن يكون كل شىء مرتبطا بهذا المزاج، وأهم مافيه، أن تتغزل فيها طوال الوقت، وأن توفر لها ماتريد طوال الوقت، وأهم شىء تريده، ربما، سيجارة محشوة بالكيف، وكباب من «أبوشقرة» وحضن دافىء ينتهى بالفراش، ولا شىء آخر، لا شىء على الإطلاق، إلا ربما رغبتها فى أن تنطلق فجأة فى الرغى بلا هدف، تظل ترغى وترغى بالساعات، ثم تنهى كل جملة بضحكة فيها من السخرية والمرارة الشىء الكثير، وخارج هذا العالم ليس هناك شىء بالنسبة لها.

فهل سأظل لو حدث وتزوجت ولاء أن أظل دافئا طوال الوقت، ألن يدركنى البرود، ألن أهرب منها إلى المقاهى، ألن أتمنى أن تكون قد نامت وأنا عائد إلى

fb/mashro3pdf

البيت؟.

يبدو أننى، فى الحقيقة، لا أعرف لمن أتحدث اليوم، يبدو أن لكل واحدة حلاوتها (ومرارتها أيضا) إذن الحل فى أن يكون لك أكثر من امرأة، تغضب هذه وتفرح تلك، أربع نساء هو الحل إذن، وربما هو حل لمشكلة العنوسة، كما جاء فى حديث لشيخ الأزهر.

الأحد ليلا:

جاء محمود الجزار (المليجى) وأكد أن حصيلته اليوم من قصاصات الصحف كانت مهمة للغاية، إذ أن أستاذة جامعية (وصفها البعض بأنها تحب الشهرة) تحدثت باعتراف أثار ضجة فى كل الكويت أكدت فيها بأنها أجرت بحثا علميا عن فتيات الجامعة فوجدت أن الشذوذ منتشر بينهن إلى حد الظاهرة، قلت: ثم؟، قال إنه أمر لابد سيشغل الصحف لمدة شهرين، قلت: تقصد سيشغل البلد هذه المدة، قال: أظن أظن، ويبدو أنه وجدنى غير متحمس للكلام فى الموضوع، فتركنى ومضى، دون حتى أن يشرب قهوته المعتادة، لكننى وجدت فى المكان الذى كان جالسا فيه قصاصة من صحيفة القبس عن توافد ٧٦ ألف مواطن ومقيم إلى قصر العدل فى يوم واحد لتقديم دعاوى تعويضات ضد العراق عن أضرار لحقت بهم أثناء الغزو.

أثناء الغزو، بعد الغزو، قبل الغزو، هكذا أصبح التاريخ، هنا، يبدأ بهذه الجملة، وينتهى، أبدا، فعلا فكرة رهيبة، أن تستيقظ فى الصباح فلا تجد بلدك، تقوم فى الصباح فتجد ناتنياهو: مثلا، سحبها من تحتك، ياساتر، فكرة رهيبة.

◆◆◆

ما الذى جرى؟.

fb/mashro3pdf

هل كان ذلك حلم يقظة؟.

سأكتب لك يا ولاء (أظن أنه آن الآوان لكى نستعيد الأقنعة، فولاء هى مديحة حمدى) حين أعرف التفاصيل، أظن أنه حان الوقت (وآن الآوان) لأن أكتب الرسالة الموعودة، (أنهيها بالأحرى) وبالأحرى (نفسها) أن علىّ أن أكتب رسائل، إلى ضحى (سعاد حسنى ـ ولاء (مديحة حمدى) ـ نهى ـ بتريسيا، لا، باترتسيا، لا، لن أكتب لها، وهى فى الغالب سافرت، تركت مصر، ربما تكون هى الآن فى ميلانو، تلعب فى الوقت الضائع، أو فى الوقت المضبوط (الإيطاليات على أى حال لاتنقصهن الحيلة) بنت الكلب وحشتنى، ماميتو، ماميتو، طيب، لو أردت أنا الآن أن أعبر عن الرقص والتمايل فى كلمة واحدة؟ ترامـ . ز لا، لا تنفع، تهتز، آه، تهتز أفضل، تهتز كالمجداف، لا يا أخى، كالقارب فوق الأمواج، أمواج؟ أى أمواج؟.

أخذتنى الحياة دائما على غرة، أقصد أنها سرقت الوقت والميعاد، هاهو الغروب مثلا ينتهى، وأنت الآن فى الليل، لاتقل البهيم، إبحث عن كلمة أخرى، العـــ ، لا يهم، لست أول من أعجزته اللغة، المهم أن تكون حذرا وأنت تكتب، خصوصا لضحى، لديها رادار مصوب ناحية الكذب، قالت إن ذلك بسبب أنها عاشت فى جو من الأكاذيب الأنيقة، المحكمة، ثم قالت إننى قد أكون الأخير؟ ما الذى كانت تقصده تلك الفتاة؟ قل لى بالله عليك ياطالعا فوق السارية، قل الحقيقة وامض يا هذا لعل كخ فخ متلاحف متهنعم وإنه وإن كانت هناك على الشرفة بنية قد حان قطافها فهيا أخا العرب للامتزاج وارفع القناة عاليا فها هو الجمل يهجل على رمال الصحراء وتلك الأباعير تسبح فى الفضاء الخارجى على أسنة الرماح التى انطلقت على الرغم من الطوز والنوز ورطوبة الهواء التى تنز حتى تخنقك فلا تستطيع حتى إدراك انحسار مياه بحر الخليج الذى لوثته ملايين أطنان النفط

fb/mashro3pdf

الذى تفجر بفعل القنابل المتساقطة على السفن العابرة العائمة فى الخليج صباح يوم الغزوة الكبرى، يوم البرابرة، اليوم المشهود الذى كتب بالدم على سطح البرية التى كانت النوق تتهادى عليها على امتداد البصر وتحت خفافها تسعى الحيات فى سلام لكن الطيور وجدت نفسها محتارة: أين تذهب، وضجيج المركبات الحربية المثقلة بأطنان القنابل يفتت أجنحتها، أين.. الذين بشر بقدومهم العسكر وهم يدوسون بأقدامهم الثقيلة على أطراف عباءات البدو الرحل وهم يفرون فى التوهة الكبرى يوم لم يعرف الابن أباه ولا المرأة بعلها وطارت رقاب الصغار والشيخ الذى سقط عقاله وطار شماغه يصرخ فى البرية:

ـ يا ابن العم؟ يا أخا العرب؟.

لكن طيور النورس كانت قد غرقت فى أمواج النفط المهتاجة وهى تحمل تماثيل سوداء للطيور، أنظر، الخوجاية العجوز الرسامة زوجة الرسام البدوى تمسك بالطائر الملوث بالزفت صارخة:

ـ هرام عليكم، هرام.

الاثنين صباحا:

استيقظت من الحر.

لم أفتح النور، كان الجو خانقا بالفعل، ازدادت الرطوبة عن المعتاد منذ مساء الأمس، فشعرت أننى أغرق أو هو، هكذا، الشعور، ساعة، غرقك فى الماء، هل جربت الغرق؟.

أنا وأنت ياضحى، نغرق عريانين، ننزل سويا متعانقين إلى الماء، ولا نتنفس.

آه، تذكرت سيمون.

كنت أعيش فى شقة، فى بيت قديم فى شارع شبرا، وكانت سيمون، جارتى [illegible] طبعا قد تعلقت بى (ومن هذه اللحظة عليك أن تعتبر نفسك فى [illegible]

fb/mashro3pdf

أيام ستينيات القرن العشرين البهية) طبعا، أولا لحظات الكشف، نظرات مختلسة، تسبيل العيون، ثم الجرأة (وفى فيلمنا هذا فإن البنت سيمون هى التى كانت أكثر جرأة، لأن أخانا الحبيب، رشدى أباظة، فى شبابه الوافر، ريفى ساذج، طبعا من أعيان الريف، والبنت سيمون، بنت مدينة، وليس أى مدينة، إنما مدينة القاهرة فى الستينيات، ومن شارع فيها، وليس أى شارع، إنما شارع شبرا، الذى أنتج أشهر راقصات ومغنيات البلد (بل والعالم فلا تنس داليدا) فموعد فلقاء على محطة الأتوبيس، أمام بتاع العصير، ثم المشى فى الشوارع الجانبية، حتى نطلع إلى النهر، نهر النيل طبعا، فإذا بنا وسط حشد من العشاق الصغار الماشين على الكورنيش، يقزقزون اللب ويشربون الحاجة الساقعة ـ المحلية الصنع، وأظن أننا أيامها كنا نشرب الكازوزة ـ ليست تلك الكازوزة التى كانت تدعو لها سعاد حسنى فى أغنيتها الشهيرة ـ ولعلها شريفة فاضل ـ ثم الموعد التالى فى الغرفة، وكانت سيمون تحب الهدايا، خاصة الحلقان والأساور الفالصو، وكانت تطلب كل مرة، قبل أن ترفع فستانها، دون أن تخلع مابعده، خاتما أو عقدا، لكنها كانت تستاء، لأننى كنت، بعد أن أنهى حاجتى، أحاول التخلص منها، وهى تعرف، وقالت إن كل الرجال هم هكذا، وأعتقد، إنها كانت صادقة، أين أنت الآن ياسيمون، طبعا لن أكتب لضحى بذلك، وإلا..

الاثنين ظهرا:

هاهو وافد جديد على الشلة، لو رأيته يانهى، لما فرقت بينه وبين الممثل أحمد رمزى فى شبابه، للأسف لن أتمكن من معرفته طويلا، سأكتب به لعادل السيوى، ربما أفاده فى إحدى رواياته، وسأرسل هذه الرسالة بالتأكيد، المهم أن أنهيها، فقد بدا لى الآن، لا أعرف لم، أن إنهاء الرسالة يدفع بى إلى الراحة، المهم أن

fb/mashro3pdf

تكتب كل مافى نفسك، فالأمر لم يعد يحتمل، أحس بروحى مرتاحة، حالة انشراح غريبة تطفو داخلى، نعم، ربما هى الكلمة، كأنه حدث فجأة فى الداخل، ثم شع حتى الجلد، أن أكتب أغنية، أغان عديدة، أن أصبح كاتب أغان.

كان أحمد رمزى قد جاء إلى فى المكتب، فضجت الفتيات العربيات بالصراخ، ظن أنه بالفعل أحمد رمزى، حتى «تشميرة» الكم، وقصة الشعر، ولوية البوز، لكن رانيا وحدها ظلت ثابتة على وقارها، وأحسست بالحرج وهو يتمرجح أمامها على الكرسى، فاتحا فمه بابتسامة تكشف عن أسنان ملمعة، يهز رأسه ولايكف عن عن الحركة بقدميه، ثم يملس على شعره الطويل «المسبسب» الغارق فى الفازلين، ينشر عطره الفواح، وصوته المتباهى بنبرة الغندور وطلته.

نسيت أن أقول يانهى أنه وردت إلينا أيضا فتاة إيرانية من شيراز اسمها شاهيناز، أهلها هربوا من إيران بعد الثورة، وهى تربت فى الولايات المتحدة الأمريكية، مذ دخلت المكتب والنار مشتعلة من نارها، ولأو ل مرة أرى رانيا على هذه الدرجة من الغيرة، ولكن الحقيقة تقال أننى أنا نفسى لم أستطع صرف ذهنى عنها (حتى أننى استعملتها فى أحلام يقظتى أثناء ممارستى للعادة، خاصة شفتيها المكتنزتين الحمراوين اللتين مصصتهما بلا انقطاع حتى وصلت إلى ....)، المشكلة أنه مذ رآها أحمد رمزى وهو لايكف عن استعراض جسده.

قلت له:

– هل تعرف من هى هذه الفتاة ؟

قال :

– لا . لكن ..

قلت كاذبا:

– إنها إيرانية ولا تعرف كلمة واحدة من العربية.

fb/mashro3pdf

قال وهو يواصل النظر تجاهها:

– يا سلام، عز المطلوب، ومن قال لك أننى أريد أن أحدثها، ألا تعرف أنت هناك لغة أخرى أهم وأبقى ؟

قلت :

– من فضلك نحن فى مكان عمل، ولا تسبب لى مشاكل.

قال:

– طبعا أنت كأى ذكر شرقى تريد كل النساء لوحدك.

ويبدو أن رانيا سمعته فانطلقت منها ضحكة مجلجلة، ولحسن حظى أطل أبو محمود من مكتبه خارجاً لفسحة الظهيرة، وأعلن الجميع استقطاع وقت الغذاء، فبدأ الحزن فى عينيه، ولاحظت أنه يغرس عينيه فى خلفية شاهيناز بوحشية.

وتعمدت الخروج للغذاء فى أحد المطاعم القريبة، ومرة أخرى سيكون على تناول بريونى السمك، وأحسست بشوق لوجبة من يد سنية، تلك المرأة التى رعتنى منذ ماتت أمى، لم تكن شغالة بالمعنى الدقيق، لم لا أكتب لها لتجهز لى وجبة من الأرانب بالملوخية، وأرز مصرى مفلفل، والباذنجان المخلل بالتوم، وربما محشى كرنب وقوطة وفلفل رومى وورق العنب، هذا هو الطعام الحقيقى الذى قال وول ديورانت مؤلف «قصة الحضارة» أن حروب العالم قامت من أجله، أين ياترى هذا الكتاب، الكتاب الوحيد الذى قرأته كاملا، قرأته كله لأننى صدقته، كانت سياحتى عبره متعة لا تنسى، لابد أنه لا يزال فى شقتى هناك فى القاهرة، أرجو أن لاتكون العتة قد عبثت به، سأحزن بقية عمرى.

وألتفت خلفى لأجد أحمد رمزى لا يزال واقفا أمام باب الوكالة، لابد أنه يتحين فرصة خروج شاهيناز ليتحدث معها، فكرت أن أعود لأمنعه، لكننى لست بالضبط

fb/mashro3pdf

ذلك الرجل الشرقى الذى تحدث به، وشاهيناز على أية حال ليست فتاة هينة، ألم تمنعنى، حتى فى الحلم، من خلع ملابسها؟ أنها تعرف كيف تدافع عن نفسها، ومشيت حتى بائع الجرائد، وأشتريت «القبس» ودخلت المطعم .

لا بد أن أصرف هذه البنت عن ذهنى، مثلا علىّ أن أوكد، وأنا أمسك بالصحيفة بين يدى، أننى إنسان عصرى، أف، أقصد مهتم بقراءة الجرائد، وأننى، منها، هذه الصحف، سرت فى طرق عديدة، أثرت علىّ، وعلى حياتى، مثلا، أنا أكتب هذه المذكرات، أقصد هذه الأشياء التى أكتبها، بالأحرى، هذه الملاحظات، أف ، هذه الرسائل المجهضة، هذه الرسائل التى لا أرسلها، ولا أظن، (وهذه لحظة صدق حقيقية) أننى سأفعل ، فى يوم ما، فلقد قرأت موضوعاً فى نفس جريدة القبس هذه عن استطلاع أجرى فى فرنسا، ونشرته صحيفة أيضاً، أظنها الليموند، أو الليبراسيون، أو غير ها، لا أذكر، عن الفرنسيين، أف، يا لى من مرتبك (البنت الإيرانية لا تريد أن تغادر خيالى، لا تريد أن تغادر نفسى، عيناها بالذات، لا، شفتاها) أقصد أن الموضوع كان استطلاعا أجرته هذه الصحيفة أو تلك عن الفرنسيين وكتابتهم للمذكرات، ووجدت أن ٦٠٪ منهم، أى الفرنسيين، يكتبون مذكراتهم، طبعا أولئك الذين يحسنون الكتابة، أف، أقصد أولئك الذين هم ما بين السادسة عشرة والستين، كتابة المذكرات أمر شائع إذن، لم إذن أخجل من أن يطلع أحد على ما أكتب، آه، ربما لأنها رسائل، ياه، أنا متعب، متعب بالفعل، كيف سيمكننى العودة للعمل وأنا فى مثل هذه الحال؟ ما الذى سيحدث لو أستأذنت، أدعيت المرض، أن مغصا كلويا أصابنى فجأة، أو ذهبت للمستشفى وتمددت هناك على السرير، وسلمت نفسى فعلا للمرض، حتى يتمكن منى.

fb/mashro3pdf

لكن، لا، فليس هناك الآن من يمكن أن يتعاطف .. أف . أخ . إتفو .

وبالفعل لم أعد إلى العمل، مشيت وركبت «وانيت» أوصلنى للبيت، ومن هناك أتصلت برانيا وأخبرتها بأنني لن أحضر الفترة المسائية، وقلت لها ببساطة أنه ليس لدى مزاج لإكمال العمل هذا المساء، وتمددت على سريرى غير عابئ بشئ .

الأثنين مساء:

أستيقظت على صوت جرس الباب، يبدو أنه على الأشول، لابد أنه قلق بسبب أنه لم يجدنى واقفا أمام باب الوكالة ليوصلنى كالعادة، ولا بد أنه عرف من رانيا أننى لم أحضر بقية اليوم، لا بد أنه قلق من أن أكون قد وجدت شخصاً آخر بدلا منه، ومن يعرف، ربما كان قلقا من أجلى، قلق على حالى، لكننى لن أفتح الباب على أى حال، دعه يواصل رنين الجرس .

بعد فترة عاد السكون، ووجدتها فكرة معتبرة أن أظل فى فراشى، فى الظلام، لا أتحرك من السرير .

لكنني تحركت، أقصد أننى وجدت نفسى أجلس على حافة السرير بشكل تلقائى، دون أى إرادة، وأنزلقت حتى جلست على الأرض، مددت يدى إلى علبة السجائر والولاعة وأشعلت واحدة، وخمنت أنه ربما نفذت رائحة الدخان للخارج وأخبرت عن وجودى، لكن هذا لم يعد يهم، ما يهم الآن فعلا، وأنا أهيئ نفسى لحياة جديدة، ستبدأ خلال أيام (على الرغم من أننى لم أقم حتى الآن بالتسوق، وشراء الهدايا التى ينتظرونها منى فى مصر)

ما يهم الآن هو أن أجلس وأفكر فى المشكلة، لم لم أنته حتى الآن من أى رسالة، لم لم أرسل أيا منها حتى ولو كانت ناقصة؟

هل بسبب أن حياتى نفسها معلقة، لم أستطع استكمال دائرتها المقطوعة، أم لأننى لم أكن قد رتبت أى شئ، وأننى سائر مع الخلق، خرجت مع حشد

fb/mashro3pdf

الخارجين مسلوبى الإرادة أم لأننى أظهر فى هيئة على غير حقيقة هيئتى.

أنا أعرف يا ضحى أننى حساس جداً، أنت نفسك قلت لى ذلك، فى نفس الوقت الذى يمكننى أن أقبل الأمور ببرود كبرود الصلب. كبرود الجليد .

أنا منظم جداً لدرجة أنني لا أطيق وضع كوب فى غير مكانه، كما أننى فوضوى لدرجة لا تطاق، حتى أنني يمكن أن أضيع مفاتيحى عشر مرات فى اليوم.

كنت أود أن أكتب لضحى بشئ مهم للغاية، أو هكذا وجدته حين سمعت به، أقصد أننى كنت أود أن أسالها عن حقيقة ما جرى فى مجلس الشعب، حول موضوع خطف السحب الذى تقوم به إسرائيل، هل حدث هذا فعلا، وماذا يعنى خطف السحب هذا، هل يعنى أنهم سيربطونها ويجرجرونها إلى سمائهم ، وهل سيتمكنون من إنزالها على رؤوس الإسرائيليين وحدهم ، وماذا لو أنزلقت ونزلت فى الضفة الغربية مثلا. لكننى أظن أنه .. لا أعرف ، ربما كان الأمر كله عبثا، لابد أنه كذلك.

الثلاثاء صباحاً :

استقبلنى «أبو محمود» ووجوم كثير على وجهه، كانت سكرتيرته (ما اسمها؟) قد أبلغته برغبتى فى السفر، لكنه قال لها بأن كثيرين من المقيمين يتحدثون بذلك لكنهم لا يفعلونه، حين رآنى زم شفتيه، ربما لأنه رأى ورقة فى يدى، وتأكد عندئذ بأنها «الاستقالة» سألنى إن كان هذا هو قرارى النهائى فأجبته نعم ، فوقع على الورقة وقد ازداد الوجوم على وجهه، وبصعوبة مد يده إلىّ لمصافحتى دون أن يقف من مكانه، على غير العادة، تأكدت من أنه غضبان لكنه فاجأنى بأنه أمر سكرتيرته (يا الله لم نسيت اسمها؟) بأن تعد لى حفل وداع طيب، شكرته

fb/mashro3pdf

وخرجت بصعوبة، كانت لحظة مؤثرة ولا شك .

الأربعاء صباحا:

منذ التاسعة وأنا غارق فى الإجراءات التى لا بد منها، لو تعلمين يا ضحى كمية الملل التى واجهتنى، حفل الوداع، تسليم العهدة، تسلم الباسبور، إلغاء الإقامة مع المندوب، تسليم البطاقة المدنية، وإلى آخره من الأعمال المملة.

الأربعاء ليلا :

فكرت أن أخالف كل العائدين من المصريين، ولا أشترى أى شىء لأى أحد، لكننى ذهبت مع محمود الجزار وعلى الأشول فى الرحلة الموعودة: رحلة التسوق، وأحسست بالفعل بأننى مخلوق أستهلاكى على الرغم من حذرى من أن أكون هذا الشخص، ماذا أفعل.

الخميس ليلا:

فى شقة على سليمان أقامت الشلة حفلا صاخباً بالأصوات، ملأت المكان روائح الشواء، شربت زجاجة كاملة من النبيذ الذى صنعه أحدهم (ربما هو على الأشول) بنفسه، كان طعمه كالعلقم، لكننى أحسست بأنه لابد من ذلك، وبالفعل نمت نوماً عميقاً لم أصح منه إلا مساء اليوم التالى.

العاشرة من مساء الجمعة:

فى بداية المساء حدث لى شئ غريب، لا يمكن تصديقه، لقد أحسست بالدهشة (كان شعرى قد أقشعر، أعنى رأيته بأم عينى يقف، يقف، ينتصب ، لا أعرف) على الرغم من أننى كنت أظن أن هذا الشئ (الدهشة) لن يحدث لى مرة أخرى بعد أن صعقتنى التجربة وألقت بى فى هذه الغربة.

بصرف النظر عن أن كل أفراد الشلة، ومعهم عدد من زملاء العمل، قد

fb/mashro3pdf

حضروا لوداعى فى المطار (لأننى فى الحقيقة كنت شبه مغيب عن الوعى) بصرف النظر عن ذلك، إلا أننى كنت قد وطنت النفس على أن أسير فى المطار دون أن أنظر خلفى ، لا أعرف لم ، ها أنذا (إذن) قد تهيأت للرحيل، أقصد، فى لحظات الرحيل، نفسى أكل سبانخ من يد سنية، ولحمة (تسميها هبر) موزة محمرة فى السمن البلدى، وأرز مفلفل وسلطة بلدى، وعيش بلدى مفقع، وفلفل مخلل، وطرشى حراق، وأشرب من القلة الساقعة وأنام القيلولة وأقوم فى العصر أشرب الشاى بالنعناع وأسمع عبد الوهاب وهو يغنى «خى خى حبيبى القاسى ليه يا خى»

وعلى مستوى الواقع سأقوم بعمل مجيد، ساعة وصولى، على ما أظن، لأرض الوطن، سأقوم بعمل مجيد يشغل وقتى، سأعمل خريطة للمصريين، أقصد خريطة تبين مواقعهم فى أنحاء العالم (حيث أضحت هجرتهم حقيقة مؤكدة) وسيكون علىّ إذن أن أرحل وراءهم فى بلاد الدنيا، أنا أعرف أنهم أضحوا منتشرين على امتداد الكوكب، وحين انتهى من هذه المهمة سأكون قد فكرت فى أى المكانين سأقضى بقية حياتى، هناك على ضفة النيل ، فى بيت من الطين، حيث أراقب الأسماك السابحة فى الماء ، أو هناك فوق أحد جبال النيبال حيث الجنيات الصغيرات يتمايلن مع الريح .

رقم الايداع: ١٦٩٢٨ / ٢٠٠٤
I.S.B.N
977-07-1057-I

fb/mashro3pdf

روايات الهلال تقدم

قمر على سمرقند

تأليف

محمد المنسى قنديل

تصدر: ١٥ ديسمبر ٢٠٠٤

fb/mashro3pdf

أحـــدث إصـــدارات روايات الهـــلال

العدد	اسم الرواية	المؤلف	التاريخ	الثمن بالجنيه
٦٥٩	المصرى	محمد أنقار	نوفمبر ٢٠٠٣	٦,٠٠
٦٦٠	حياة وزمن مايكل	ج.م كوتسى	ديسمبر ٢٠٠٣	٥,٠٠
٦٦١	ما علينا	زياد عبدالفتاح	يناير ٢٠٠٤	٥,٠٠
٦٦٢	قصر الأفراح	محمد عبدالسلام العمرى	فبراير ٢٠٠٤	٦,٠٠
٦٦٣	سوق هرج	عائد خصباك	مارس ٢٠٠٤	٦,٠٠
٦٦٤	الساعات	مايكل كننجهام	إبريل ٢٠٠٤	٧,٠٠
٦٦٥	نوافذ النوافذ	جمال الغيطانى	مايو ٢٠٠٤	٥,٠٠
٦٦٦	صنعاء.. الوجه الآخر	د. إبراهيم اسحاق	يونيه ٢٠٠٤	٦,٠٠
٦٦٧	أيام القبوطى	سهام بيومى	يوليو ٢٠٠٤	٨,٠٠
٦٦٨	ربيـــع حـــار	سحر خليفة	أغسطس ٢٠٠٤	٨,٠٠
٦٦٩	الخالدية	محمد البساطى	سبتمبر ٢٠٠٤	٦,٠٠
٦٧٠	الرواية	د . نوال السعداوى	أكتوبر ٢٠٠٤	٦,٠٠

fb/mashro3pdf

عبده جبير

● وُلد عـام ١٩٤٨ فى مدينة إسنا بمحافظة قنا بمصر.
● يعيش بالفيوم متفرغا للكتابة .
● تضم أعماله :
- «فارس على حصان من الخشب» وقصص أخرى (١٩٧٨).
- رواية «تحريك القلب» (١٩٨١).
- «سبيل الشخص و«قصص أخرى» (١٩٨٢).
- مجموعة قصص «الوداع تاج من العشب» (١٩٩٧).
- رواية عطلة رضوان(١٩٩٥).
- مجموعة قصص «رجل العواطف يمشى على الحافة» تحت الطبع.
- رواية «آلة الكتاب» تحت الطبع.
● صدرت له عدة روايات ومجموعات قصصية بدأها بمجموعته القصصية «فارس على حصان من خشب» التى صدرت بالقاهرة عام ١٩٧٨ .

هذه الرواية

لقد تطلعت من قبل فى صفحات الكتاب المفتوح ، الكتاب الافتراضى، فلم أر سوى صورة ذلك الحشد المتلاطم، الخارج من البوابات الكبيرة، لا يعرف إلى أين، لا. ليس إلى سفينة نوح ، ولا إلى جنة عدن، ولا إلى بلاد السندباد، ولا إلى -

لكن إلى المحيط الذى أدى بهم إلى الصحراء» .

حين يحس بطل الرواية بالخطر الذى جعله عاجزا عن إتمام الرسائل التى يكتبها لحبيبته يقرر التحول إلى مراقب لذاته ولمن حوله ، يلبس قناعا ، ولا يستطيع ذكر الآخرين بأسمائهم الحقيقية،فيلبسهم أقنعة ، يعانى ألم الروح فيستعيد كل الحلول، يصور مجازر الحوادث على الطرق، وفى السماء، فيخلص إلى ملحمة الضياع التى يعيشها شعب كامل، إنها تراجيديا كبيرة، ومأساة لا يعرف أحد كيفية الخروج منها ، إلا ، ربما ، عبر الزمن ، من يعرف .

وقد استعان الكاتب ضمنا بعدد من المراجع وكتابات الآخرين أخذها عن بعض الصحف بتصرف، وبعضها تمت الإشارة إليه فى موضعه .

fb/mashro3pdf